الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

Peopl's Democratic Republic Of Alegria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Minestry Of higher Education And Scientific Research

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي

والعلاقات الخارجية

University DjilaliBounaama of Khemis Miliana

Faculty Of Social and Human Sciences

Vice Deanship for Post Graduation

Scientific Research and External Relations

التاريخ : 17 نوفمبر 2024

الرقم 1958/ج ج ب خ م/ك ع ج ن/ن ع د ب ع ع خ/2024

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية رقم 2024/04

المنعقد بتاريخ :06/ 10/ 2024

بالجلسة المنعقدة بتاريخ :06/ 10/ 2024، صادق المجلس العلمي لكلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ،جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة على مطبوعة دروس خاصة بالأستاذ :محفوظ سعيداني موسومة بـ:"**مطبوعة دروس لمقياس العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية** "والموجهة لطلبة قسم : التاريخ ، المستوى : السنة الأولى ماستر ، تخصص :تاريخ الجزائر الحديث .

وذلك بناء على التقارير الإيجابية للأستاذين :

1- أ.د. وهيبة قطوش ، جامعة الجزائر 02.

2- د. إبراهيم بتقة ، جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة .

رئيس المجلس العلمي

رئيس المجلس العلمي
لكلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية
أ.د. شعباني نورالدين

جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة
كليـة العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

مطبوعة دروس لمقياس العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية

مطبوعة دروس السداسي الثاني لمستوى الأول ماستر

تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830)

مطبوعة مقدمة ضمن متطلبات الأستاذية لرتبة أستاذ التعليم العالي

من إعداد الأستاذ:

د. محفوظ سعيداني

السنة الجامعية:(1445-1446هـ/ 2024-2025م)

جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة

كليـة العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مطبوعة دروس لمقياس العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية

مطبوعة دروس السداسي الثاني لمستوى الأول ماستر

تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519–1830)

مطبوعة مقدمة ضمن متطلبات الأستاذية لرتبة أستاذ التعليم العالي.

من إعداد الأستاذ:

د. محفوظ سعيداني

أعضاء لجنة الخبرة

إسم ولقب الأستاذ	الرتبة	جامعة الانتساب

السنة الجامعية:(1445–1446هـ/ 2024–2025م)

مـــــــقـــــــدمـــــــة

مقدمة:

يعالج هذا المقياس الموسوم بالعلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية خلال العهد العثماني، في مجاله المكاني تلك الدولة التي ظهرت مع العثمانيين بلاد المغرب العربي، تحت اسم الجزائر لتعبر عن إقليم الجزائر الشمالي حالي بحدوده الشرقية والغربية، فكانت من اقوى الدول في هذه الفترة ما جعلها تحظى بمكانة هامة وكبيرة في المجال الإقليمي لحوض البحر الأبيض المتوسط، وتؤثر وتتأثر مع دول المد الجغرافي أو الجوار من البلاد المغاربية والمشرقية ، أما في مجاله الزماني فهو يدرس ما يعرف في العصور التاريخية بالفترة الحديثة والتي تمتد من سقوط غرناطة في يد الأسبان إلى غاية احتلال الجزائر أي من 1492-1830م.

ولان المقياس اختص بدراسة العلاقات التي ربطت المنطقة المغاربية بالمشرق وبالخصوص ايالة الجزائر التابعة إلى الدولة العثمانية، ولأنها كانت هي الجناح الغربي التي يحمي ظهرها من ضربات الأعداء وبالخصوص اسبانيا، أهل الجزائر أن تكون لها ميزة خاصة في علاقاتها مع الدولة العثمانية على غرار باقي الايالات التابعة لها في الأراضي الإفريقية أو الأسيوية أو الأوروبية، فكانت لها مكانتها وشخصيتها الدولية، التي ظهرت في تلك العلاقات السياسية والمواقف الدبلوماسية من القضايا المطروحة على الساحة العالمية وخاصة منها ما يتعلق بالعالم الإسلامي.

إن الدارس لعلاقات الجزائرية المغاربية المشرقية يلاحظ منذ البداية أنها علاقات للتواصل والترابط أكثر منها علاقات لتنافر والتباعد، نتيجة ما عرفته المنطقة الإسلامية من جسام الأحداث التي ساعدت على لحمتها بدل نفرتها، وبناءا على ذلك فإننا في هذا المقياس سوف نحاول التعرف على ابرز ملامح تلك العلاقات التي ربطت الجزائر مع العالم الإسلامي والعربي في العهد العثماني، بالوقوف على الجانب السياسي العسكري والاجتماعي الاقتصادي والثقافي الديني. من خلال هذا تم تقسم العمل إلى أربعة محاور جاءت كالتالي:

المحور الأول معنون بالعلاقات السياسية للجزائر بالأقطار المغاربية والمشرقية وحاولنا من خلاله الوقوف على أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي ربطت الجزائر مع جيرانها، وكيف تفاعلت مع الأوضاع، مستطردين في العلاقات مع الأقطار المغاربية، التي شهدت نشاط وحركية كبيرة في الأحداث السياسية والعسكرية خصوصا من الجزائر على جارتيها المغرب وتونس متقصيين تلك ال وقائع من بداية دخول العثماني إلى الجزائر في 1519م إلى غاية 1830م حيث نزلت النكبة بالاحتلال الفرنسي، إلى جانب العلاقات السياسية والدعم العسكري الذي ربطها مع الدولة العثمانية.

أما المحور الثاني فكان خاص بالعلاقات الاقتصادية للجزائر بالأقطار المغاربية والمشرقية حاولنا من خلاله الوقوف على النشاط والمبادلات التجارية التي ربطت الجزائر مع الأقطار المغاربية وأيضا مع الدولة العثمانية وايالاتها العربية، من خلال المبادلات التجارية وحركة السلع والطرق ومدى نشاط وتكامل الاقتصادي بين دول المنطقة.

أما المحور الثالث فكان تحت عنوان العلاقات الاجتماعية للجزائر بالأقطار المغاربية والمشرقية، من خلال تلك الحركة البشرية بين سكان المنطقة التي لم تكن تردعها الحدود الوهمية المزع ومة حاليا، خاصة هجرة العلماء والأفراد والجماعات للاستقرار في المنطقة المغاربية أو المشرقية، لإبراز ذلك التلاحم الاجتماعي بين سكان العالم الإسلامي حينها.

أما في المحور الرابع معنون بالعلاقات الثقافية والدينية للجزائر بالأقطار المغاربية والمشرقية وقد تناولنا فيه النشاط العلمي والعلماء، إلى جانب ركب الحج وما كان فيه من نشاط، ومساهمة الجزائر بالوقف خاص بأهل مكة والمدينة، لنختم بخاتمة وقفنا على نقاط وملامح تلك العلاقات التي ربطت الجزائر مع العالم العربي والإسلامي لننتهي بقائمة المصادر والمراجع.

رغم أن المصادر والمراجع لا تمنحنا معلومات مباشرة ومفصلة على تلك العلاقات التي تتداخل فيما بينها في كثير من الأحيان، ولكن رغم ذلك نجد بعض المعطيات التي توضح تلك العلاقات التي ربطتها الجزائر مع الأقطار المغاربية والمشرقية خلال الفترة العثمانية، رغم أن البعض من الناقمين على الحكم العثماني في الجزائر قد قال أن:" العثمانيين جاؤوا من البحر وبقوا ينظروا للبحر"، ولكن هذه المقولة تسقط حين نلج في معطيات هذا المقياس.

وإذا عدنا إلى المصادر التي تناولت الجانب العلاقات فلا نكاد نجد أن هناك من كتب عنها مباشرة وإنما أعطى ملامح عن تلك العلاقات، من خلال الأحداث السياسية والحملات العسكرية والهجرات البشرية بسبب المجاعة أو الحروب او غيرها من الفتن، فما من مصدر إلا أكد ذلك، ونجد مشاركة الكتاب المحليين في التاريخ العثماني شحيحة ومحتشمة إذا ما قونت بنظيرتها الأجنبية، إلا أنها تبقى اصدق منها نسبيا، من فمن مُحَّد بن يوسف الزياني في دليل الحيران، إلى حمدان خوجة في المرآة لابن ميمون في التحفة المرضية والراشدي في الثغر الجماني والزهار في مذكراته وابن الهطال في رحلة الباي مُحَّد الكبير وابن عودة المزاري في طلع سعد السعود وغيرهم، والتي تناولت جوانب عدة من حياة الحكم العثماني وما عاشه الأهالي معه في حلوه ومره، وعرفوا بالنظام العثماني القائم بالجزائر.

ومع الأسف فإن غالبية الكتابات كما قلنا، أجنبية فإنها كتبت بخلفية دينية أو سياسية غير بريئة لذا احتوت على أحكام مسبقة على المنطقة في الجانب السياسي أو تعاملها مع الأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، فمن هايدو (Fra Diego Haédo) إلى مرمول (Marmol) في ق 10هـ/16م والأب دان (Père Dan) في ق11هـ/17م إلى لوجي دي طاسي (laugier de tassy) إلى فانتور دي بارادي (venture de paradis) وتوماس شاو (thomas shaw) في ق18م، وغيرهم في ق 19م و20م من أمثال دوقرمون (de grammont.h.d) و اميري مرسيه (mercier, e) والبير دوفو (defoulx,a) واندري ريمون (andré raymont) وشارل اندري جوليان... وغيرهم من يطول ذكرهم.

وهذا لا يعني أننا نهملها أو نستغني عنها وإنما العودة إليها ضرورية، ولكن يبقى اخذ المعلومات منها دائما محل نظر ودراسة، لأنها رغم ذلك فقد أوجدت لنا ثروة قيمة من المعلومات عن الحقبة العثمانية في بلاد المغرب العربي وما كان تعيشه من جسام الأحداث وأهوال المخاطر داخليا وخارجيا، واهم الشخصيات التاريخية الفاعلة، وموقفها من تلك الأحداث أو تفاعلها معها، واسهم ت في ربط علاقات متشعبة على المستوى الدولي، مما أعطى لها هيبة ومكانة دولية جعلت أعتا دول حينها تحسب للجزائر ألف حساب.

المحور الأول: العلاقات السياسية للجزائر بالأقطار المغاربية والمشرقية

أولا.العلاقات الجزائر السياسية والعسكرية مع الدولة العثمانية

1. الأوضاع البحر الأبيض المتوسط نهاية القرن 15 وبداية القرن 18م:

1.1. الضفة الشمالية:

بنهاية ما اصطلح عليه بالعصور الوسطى في أوروبا تولت الكنيسة وسعت إلى توحيد صفوف الممالك المسيحية وضمها إلى بعضها البعض عن طريق الزواج بغية وضع عدة ممالك في قبضة ملك موحد أو في يد رجل واحد، في حين كان جيرانهم الم سلمون بالأندلس يؤسسون الممالك العديدة التي استحدثها الملوك الطوائف مشتتين قوتهم وخالقين إمارات جديدة معادية لبعضها البعض وكان هذا من بين الأسباب التي أدت إلى نهاية الأندلس في ايبيريا، ففي 1265م استولى الملك الاسباني دون الفونس العاشر (Roi Don Alphonse X) على قرطاجنة بعد أخذه كل من مورسيا(Morcia) ويورقة ثم الميرية (Almeria)، ليمد الأسبان نظره للسواحل المغربية وجعلها ميدانا للحرب وإقامة الحصون[1].

وفي سنة 1478م تولى فرديناند الخامس المكنى بالكاثوليكي (Ferdinand le Catholique) (1452-1516م) مملكتي نافارو وأرغون (Royaumes d'Aragon et de Navarre)، وتزوج في سنة 1469 بإيزابيلا(Isabelle) (1451-1504م) التي تصبح ملكة قشتالة في 1474م، فأصبح ثلث اسبانيا بيد الزوجين، في نفس هذا الوقت كان مسلمو الأندلس يقتتلون فيما بينهم، فكان هذا الاتحاد المسيحي وخيما على مسلمي الأندلس، فمن نتائجه احتلال غرناطة وطرد ملكها عبد الله بن أبي الحسن من بني الأحمر [2] في ربيع الأول997هـ/جانفي 1492م نحو فاس [3] التي مات بها، وفي نفس السنة نزل عمه أبو عبد الله الزغلي على وهران ومنها إلى تلمسان حيث توفي[4].

---

[1] . ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان"أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر"، عن حوليات جامعة الجزائر، العدد 07، سنة 1993، الجزائر 1993، ص 107.

[2] .عبد المجيد بن أبي زيان ابن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين على الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 1972، ص 13.

[3] . محمد زروق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط3، أفريقيا الشرق، الرباط 1998, ص 55.

[4]. بن عودة المزاري، طلع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 209.

وبخروج أبي عبد الله المكنى بـ "الزغل" أو "الزغلي" (الشجاع) من مالقة ، وإقصاء المسلمين من غرناطة على اثر اتفاق التسليم المبرم مع سلطان غرناطة حول الحرية الدينية للمسلمين بأرض الأندلس، هذا الاتفاق الذي لم يرى النور جراء عملية الاضطهاد التي قام بها الاسبان إما التنصر أو الهجرة، وأصدر فيرديناند قانون يمنع ممارسة الديانة الإسلامية، ونظم المراقبة الشديدة عرفت بمحاكم التفتيش ضد المسلمين وبذلك اشتدت الهجرات من الأندلسيين إلى بلدان المغربية والمشرقية[1].

كما حرض الكاردينال فراى دون فرانسيسكو خيمينس دي سيسنيروس (le cardinl ximenes de cisneros) المدعو ابن الخميس عند العرب، الذي لكان الوزير الأول لدى الملكين المسيحيين، في توجيه أنظار اسبانيا نحو المنطقة الجنوبية للبحر المتوسط، وجدّ في تنفيذ مشاريع الأسرة الحاكمة كتتبع الفلول المهاجرة[2]،لأنه كان يدرك جيدا عاقبة هذه الهجرات وأثارها في إعادة بناء القوة الإسلامية ومن ثمة العودة إلى الأندلس ويتم بذلك تقويض عرش المسيحية، فخطط الملك الاسباني ووزيره تنظيما أوجبا فيه تتبع الأندلسيين في بلاد المغرب واحتلال المدن الساحلية[3].

وكانت البداية من المدن القريبة فاستولى الأسبان على مليلية، وبعدها احتلوا المرسى الكبير في 1505م، ثم مدينة وهران سنة 1509م[4]، كما احتلت بجاية سنة 1510م ثم سقطت دلس فشرشال، مستغانم في يدهم سنة 1511م، وتعرضت السواحل الشرقية إلى الاحتلال إلى غاية طرابلس حيث تم احتلالها في جويلية 1510م تحت قيادة بيدرونفارو (Pedro-Nararo) [5].

وتزامن مع هذه الأحداث في الجهة الغربية من ضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، توسع ونمو الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وفي أوربا، التي كانت تعمل على توسيع مجالها على حساب الإمارات المسيحية في الجهة الشرقية

---

(1) . عبد القادر حلمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، الطبعة الأولى، بدون دار النشر، الجزائر1972، ص 162

(2) . بن اشنهو ، المرجع السابق ، ص 14.

(3) . زروق، الأندلسيون...، المرجع السابق، ص 63 .

(4) . جون .ب. وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، ترجمة وتعليق ابو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986،ص 28.

(5) . عبد الله محمّد بن خليل بن غلبون الطرابلسي،تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق الطاهر احمد الزاوي، الطبعة 2، مكتبة النور، طرابلس 1967، ص 112.

من أوربا[1]، وحققت انتصارات كبرى وبسطت نفوذها على أراضي واسعة في أسيا وأوربا وتحولت إلى دولة عظمى في الشرق تحمل راية الدفاع عن الدين الإسلامي[2]، إلى غاية حدود مدينة فيينا.

وقابلها في الغرب القوة المسيحية الأولى التي ورثت قسم كبير من أراضي الإمبراطورية الرومانية القديمة وشملت معظم أراضي أوروبا الغربية بقيادة اسبانيا، وهذا ما أوجد نوع من التنافس والتناحر حول السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط قصد السيطرة على الطرق البحرية التجارية المارة به والتي تعتبر عصب الحياة في هذه المنطقة رغم اكتشاف رأس الرجاء الصالح واكتشاف القارة الأمريكية التي أصبحت تدر على اسبانيا خيرات كبيرة.

فكان من رجال الدولة العثمانية رجلين مغامرين اشتهرا في الجهة الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وقد لعبا دورا مهما في ضفته الغربية، فمارسا الجهاد البحري ضد السفن المسيحية، كما قاما بمساعدة الأندلسيين بنقلهم نحو السواحل المغاربية فظهرت منافسة بين الجانبين سماها المسلمون الجهاد البحري في حين أن الأوربيون أطلقوا عليها اسم القرصنة [3].

وهذا في ظل ظهور الحركة الاستعمارية التي ترأستها كل من اسبانيا والبرتغال اللتين تنازعتا حول منطقة المغرب الكبير، وانتهى النزاع بعقد اتفاقية سميت بـ"توردسيلاس" التي قسمت بموجبها مناطق نفوذ بين الدولتين، بحيث رسمت خط وهمي فالجزء الغربي الواقع إلى الغرب من حجر باديس للبرتغال والجزء الشرقي الواقع في الشرق من حجر باديس فالاسبان هذا في عام 1509م وهذا ما أدى إلى أحداث هامة جرت رحاها في الضفة الجنوبية [4].

([1]). Jeronimo Conestaggio, Relation des préparatifs faits pour surprendre Alger, Traduite de l'italien et annotée par H-D.DeGrammont, Adolphe jourdan, libraire-éditeur, Alger1882, p 311-315.

[2] . محمّد بن أبي السرور البكري الصديقي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية (998-بعد 1071هـ/ 1589-1661م)، تقديم وتحقيق وتعليق ليلى الصباغ، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1995، ص200.

[3] . سلفادور بونو، " العلاقات بين الجزائر وايطاليا خلال العهد التركي"، ترجمة أبو القاسم بن التومي، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد 6، جانفي 1972، الجزائر 1972، ص 99.

[4] . شوقي عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة 1977، ص 77-78.

2.1. الضفة الجنوبية:

أما من جهة بلاد المغرب فنجد الحرب قائمة بين أهم الممالك التي كانت فيه، ما بين المرينين في المغرب الأقصى بمدينة فاس والحفصيين في المغرب الأدنى بمدينة تونس والزيانيين في المغرب الأوسط والمتحصنين بمدينة تلمسان، وكانت هذه الأخيرة واقعة بين شقي رحى، مما جعلها منطقة توسع للمملكتين المجاورتين لها، فالحفصيون الذين توسعوا على المغرب الأوسط من الجهة الشرقية أحذوا بجاية، عنابة وقسنطينة، وعجز بنو زيان في الدفاع على ما سمي فيما بعد بالشرق الجزائري[1].

وحتى في المناطق الصحراوية تكونت طوائف انفردت بالحكم عن تلمسان أو تونس أو فاس وسيطر العرب الرحل على الهضاب العليا على المدن والقرى، وظهور اللصوصية في شكل عصابات لقطع الطرق أمام القوافل التجارية الآتية والذاهبة لبلاد السودان، كما تكونت ببلاد المغرب إقطاعية محلية (Féodalité locale) عن طريق العائلات البارزة العربية والامازيغية ذات النفوذ، وفرضت نفسها على الممالك المرينية والوطاسية والزيانية والحفصية، التي كانت تستخدمها عند الشدائد، كما ظهرت الطرق الصوفية [2]التي أصبحت تحل وتعقد وتساعد على التمردات ضد الحكم الرسمي وتؤسس لها دويلات، وتعمل على تسيير الحياة السياسية والاجتماعية[3].

أما على السواحل المغاربية فقد استقلت بعض المدن البحرية في شواطئ البحر المتوسط مثل طرابلس، جربة، بجاية، وجزائر بني مزغنة وشرشال، وهران وغيرها فهذه الحالة المنحطة التي وصلت إليها بلاد المغرب في أواخر القرن 15م، فتحت المجال للتدخل الأجنبي فتم الاستيلاء على شواطئ الجزائر وتونس وطرابلس الغرب[4].

---

[1]. زروق، مرجع سابق، ص 63.

[2]. **حركة التصوف:** وجدت بيئة صالحة لتنمو وتنتشر، مستغلة الوضع العام الداخلي المتردي والخارجي المنذر بالخطر فظهر رجال من شيوخ الزوايا وحاولوا تغطية العجز السياسي بالمغرب، فأصبح دور هؤلاء الشيوخ من الصوفية لا يقتصر على تلقين الأوراد والأذكار، وإنما يبثون الحماس الديني والحمية الوطنية في نفوس إتباعهم لمقارعة المحتلين فنالوا ثقة العامة بحسن سلوكهم وسعيهم لتأمين السبل وحماية المظلومين وإيواء الفقراء والإفاضة عليهم مما يدخل زواياهم من النذر والهدايا، فأحاط العامة الشيوخ بهالة من القداسة والإكبار واعتقدوا فيهم الكرامات الخارقة حتى أصبحوا في نظرهم يتصرفون بالإرادة ويؤثرون في الأحداث بالهمة والعزيمة، ورغم ابتعادها عن الحقيقة فإن لهذه المعتقدات أثر فعال في إرساء قواعد الامتثال والنظام لكل قيادة ناجحة. (ينظر: حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج1، ص 43.).

[3]. أبو القاسم سعد الله، "السلطة والطرق الصوفية في المغرب العربي في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية"، مقال غير منشور، وادي سوف 2003، ص 6.

[4]. ابن اشنهو ، المرجع السابق ، ص 12.

وهكذا يتضح لنا أن منطقة المغرب في نهاية القرن الخامس عشر كانت تسوده بوادر الضعف والانحطاط في الجانب السياسي والعسكري والتدهور الاقتصادي بسبب الاضطرابات المتكررة، فالعائلة الحفصية غير قادرة على السيطرة على القبائل العربية القوية، وفي بعض الأحيان حتى على حكم المدن التي هي تحت نفوذها كالشابيين في القيروان، أما المغرب الأوسط فقد كان يتميز بالتفكك الداخلي فأدى إلى ظهور مدن وقرى مستقلة من قبائل العرب والبربر مثل إمارة كوكو ببجاية والثعالبة في جزائر بني مزغنة[1].

وهو الشيء الذي سهل على الاسبان احتلال تلك المدن الساحلية، كالمرسى الكبير في سبتمبر 1509م ومدينة وهران سنة 1510م مستعينا باليهود، التي قوت شوكتهم على المسلمين من بني عامر[2]، واستعملوهم كجواسيس ومرشدين في المنطقة وسميوا بالمغاطيس[*]، مما جعله يوسع دائرة نفوذه إلى غاية ملاتة وسيرات[3].

احتلت مدينة بجاية في 5 جانفي 1510م وبعدها قامت اسبانيا بتوجيه حملة مختلطة كانت نتيجتها الاستيلاء على طرابلس الغرب[4]، ثم سقطت دلس، شرشال مستغانم في يد الإسبان في 1511م، وهذا ما جعل الثعالبة الذين كانوا في مدينة جزائر بني مزغنة يطلبون من قائد الحملات الاسبانية "بيدرونفارو" (Pedro-Nararo) إبرام عقد خضوع لملك اسبانيا وتم ذلك مقابل دفع جزائر بني مزغنة غرامة سنوية للأسبان مع السماح لهذا القائد بإنشاء حصن الصخرة (البنيون) (Pegnon) فوق إحدى الجزر المقابلة لمدينة الجزائر على بعد 300م من باب البحر وبهذا الاتفاق الذي تم في 1510م، فقد وضع سالم التومي الخنجر الاسباني على نحر مدينة جزائر بني مزغنة إذ مثل هذا الحصن تهديدا صريحا لها مدة إقامته[5].

وفي سنة 1516م توفي الملك الاسباني فرناندو وتولى مكانه شارل الخامس وقد دخل في حروب ضارية مع فرنسا، وفي أكتوبر 1524م أرسل المرشد الأكبر لفرسان مالطة إلى شارل الخامس بطلب منه منحه جزيرة مالطا، فاشترط عليهم الدفاع عن طرابلس ومدينتها، وقد ترددت هذه المنظمة بإلحاقها إليها، ولكن في 24 مارس 1530م وقع

---

(1) . وولف، الجزائر...، نفس المرجع ، ص 23-24.

(2) . مُحَمَّد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1978، ص 159.

(*) . المغاطيس: كلمة أطلقها الأسبان على الموالين لهم من القبائل في الغرب الجزائري ويقصد بها المنتصرون. (عن المنور مروش، العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص 80)

(3) . المزاري، نفس المصدر، ج1، ص 213-215.

(4) . عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835 ،الطبعة 1، مكتبة الفرجاني،بيروت 1966، ص 140.

(5) . حلمي، مدينة ...، المرجع السابق ، ص 162 – 163.

الإمبراطور مرسوما بالتنازل عن طرابلس الغرب لفرسان القديس يوحنا [1]، واستقروا بها إلى غاية سنة 1551م وعرفوا بعدائهم وكرههم للمسلمين، ولكنهم تلقوا مضايقات من قبل سكان مدينة طرابلس وضواحيها[2].

بهذه الصورة للوضع السياسي والعسكري، كانت بلاد المغرب أرضا خصبة لمد نفوذ العثماني، بطلب من أعيان وأهل المنطقة أنفسهم بتخليصهم من هذا الواقع الذي آلت إليه من ضعف وتكالب خارجي عليها.

2. انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية:(1518م)

وفي ظل هذه الظروف التي كانت تعيشها الأندلس من اضطهاد ديني من طرف الأسبان، وما تعيشه بلدان المغرب من تفكك وانحطاط داخلي، جعل المنطقة سهلة المنال للاسبان والبرتغال تحت راية الكنيسة، وفي هذا الوقت كانت مجموعة من البحارة المسلمين في الجهة الشرقية للمتوسط رافعين راية الجهاد البحري والدفاع عن الدين الإسلامي ومنهم الإخوة بربروس في نهاية القرن 15م، خصوصا بعد أن وجد عروج مكانا له في خضم هذه الأحداث، بحيث أعطاه الملك الحفصي مكانا يلجأ إليه للراحة مقابل خمس الغنائم، بمنطقة جربة بعد العودة من الجهاد البحري[3].

ليتحول عنها إلى مدينة جيجل التي أفتكها في عام 1514م من الجنويين الذين اتخذوها مركزا لهم لصيد المرجان، وهذا بعد مضايقة الأمير الحفصي للإخوة بربروس [4]، وقد استقبلته هذه المدينة بحفاوة بعد خروجه من جربة [5] فأعطى لها ذلك حظوة من طرف العثمانيين، ونتيجة نشاطه في حوض البحر الأبيض المتوسط وصولته فيه، جعل بعض أعيان مدينة جزائر بني مزغنة في 1516م يطلبون نجدته للتخلص من الح صار الاسباني، فوجه لها حملة ناجحة فدخلها وقام بتحصينها من الضربات الإسبانية، وبذلك تكون أول لبنة وضعها عروج لأخذ زمام الحكم بالجزائر وتغيير مسيرتها التاريخية[6].

---

[1]. علي بن إسماعيل، انهيار حكم...، ص158- 160.

[2]. نفسه، ص 22.

[3]. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1965، ص 221.

([4]) . Ernest watbled, « Etablissement de la domination turque en Algérie», in R.A, A 17, N° 99, mai 1873, p352.

[5]. العنتري، المصدر السابق، ص 38.

[6]. يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير(العصور الحديثة وهجوم الاستعمار)، ج3، دار النهضة العربية، بيروت1981، ص 21-22.

وبذلك يكون عروج قد قام بتأسيس حكومة عسكرية، ومنها انطلق في بسط نفوذه وتوسيع مجاله الحيوي على كامل منطقة المغرب الأوسط على حساب الإمارات الصغيرة المتناثرة فيه، كمتيجة، مليانة، وادي الشلف، المدية تنس، الظهرة والونشريس حتى وصل إلى غاية عاصمة الغرب تلمسان ودخلها [1]، وفر ملكها الزياني من أمام جند عروج ونصب هذا الأخير نفسه ملكا عليها في 1517م ووضع بالمناطق التي أخضعها تحت حكمه حاميات عسكرية عثمانية فدان له الغرب الجزائري، ولكن أبي حمو الزياني استنجد بالأسبان المحتلين لوهران [(2)]، وضرب عليها حصارا جعل عروج يتحصن داخل أسوار المدينة، و نتيجة طول الحصار خرج منها فتتبعته قوة اسبانية استطاعت قتله في معركة مستميتة [(3)]، في مايو 1518م على الحدود الجزائرية المغربية بالواد المالح وبذلك يكون عروج قد مهد الأسس الأولى لبناء الدولة[(4)].

1.2. العلاقات المتشعبة بين الجزائر والدولة العثمانية :

بعد كل هذه الأعمال العسكرية رأى خير الدين المعروف ببربروسا (Barberousse) (أي صاحب اللحية الحمراء) خليفة عروج في قيادة عملية الجهاد ببلاد المغرب الكبير، ضرورة الاتصال بالدولة العثمانية قصد ربط هذه المنطقة بها، فتلقي خير الدين دعما بإرسال إمدادات عسكرية له في عهد السلطان سليم الأول في سنة 1518م، والمتمثلة في ألفين من جنود الانكشارية وعدة سفن والسماح له بتجنيد الجند من أرض الأناضول نفسها قصد مواجهة الأخطار [(5)]، ويعتبر هذا التاريخ بداية انضمام المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية، وظهوره ككيان سياسي تحت اسم "الجزائر".

وقد تعرض خير الدين في بداية تأسيسه للايالة الجزائرية إلى مصاعب وردود فعل من طرف الحكام الحفصيين المتعاونين مع أمراء البربر في منطقة القبائل (إمارة كوكو) (Royaume de Koukou) مما جعله يعود إلى جيجل، وكانت الفترة الممتدة مابين 1520-1525م التي قام فيها خير الدين بعدة أعمال فقد جابه في المرحلة الأولى من حكمه الجبهة الخارجية والمتمثلة في الصراع العنيف مع الدول الأوروبية وعلى رأسها اسبانيا ومحاولة طرد

([1]) . Ernest watbled, « Etablissement … », R.A, p352.

[(2)] . جوليان، المرجع السابق ، ج1، ص ص 325-328.

[(3)] . صلاح العقاد، المغرب العربي في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر تونس المغرب الأقصى). مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1980. ص ص 18-20.

[(4)] . جوليان، المرجع السابق ، ج1، ص ص 325-328.

([5]). Alfred Nettement, Histoire de la conquête d'Alger, nouvelle édition, Librairie jacques lecoffre, 1867, p 5-23.

الاسبان من المراكز الساحلية التي احتلتها على الساحل الجزائري وقد نجح في ذلك إلا أنه بقيت منطقة وهران في أيديهم نتيجة تحصينها وظلت لهم إلى غاية القرن الثامن عشر[1].

وتميز خير الدين بحزم ودهاء سياسي حاد، جعله يعتبر المؤسس الحقيقي للايالة الجزائرية، وخاصة بعد ربطها مباشرة بالدولة العثمانية التي منحته لقب البايلرباي (Beylerbey) أو أمير الأمراء وأمدته بالقوة العسكرية من رجال الانكشارية، فقام على المستوى الداخلي على توحيد المغرب الأوسط وتوسيع دائرة نفوذه باسم الدولة العثمانية نحو القل في 1521م، وعنابة وقسنطينة في 1522م، ومتيجة في 1525م[2]، وتعذر دخول بجاية إلى غاية سنة 1555م، وفي 1529م تمكن خير الدين من تحرير حصن البنيون من يد الاسبان، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الجزائر عاصمة كبرى للمغرب الأوسط بل وحتى لكامل المنطقة المغاربية العثمانية، وبدأ استعمال كلمة الجزائر للدلالة على إقليم المغرب الأوسط منذ ذلك الوقت [3]، وبتحرير حصن الصخرة يكون خير الدين قد أزاح الشوكة التي كانت في حلق الجزائر وتم بذلك ربط الجزر المتناثرة أمامها بالشريط الساحلي مباشرة [4].

وقد قام السلطان العثماني بترقية خير الدين على رأس قيادة الأسطول العثماني مما جعله يغادر الجزائر ويخلف عليها حسن أغا، فقام شارل الخامس بأكبر مغامرة له وذلك بتجهيز حملة ضخمة وجهها إلى مركز النشاط في بلاد المغرب نحو الجزائر وأسند قيادتها إلى أندري دوريا، ولكن هذه الحملة تكبدت هزيمة فادحة على أسوار مدينة الجزائر فرجع شارل الخامس حاملا أذيال الهزيمة في سنة 1541م[5].

وهو ما أعطى منعة لهذه المنطقة وأكسبها احتراما دوليا، لأن السيطرة الجزائرية على البحر المتوسط في القرون السابقة للقرن التاسع عشر أعطى لها قوة وهيبة استعملتها ضد الدول الأوروبية، فارضتا حق تفتيش السفن التي تسلك هذا البحر، فسعوا في ربط علاقات ودية معها حتى تتمكن سفنهم من العبور بكل سلام في البحر الأبيض المتوسط، لذا أوجدت الجزائر شروطا ارتكزت عليها دبلوماسيتها وهي على مبدأين:

أولهما: كل دولة لا تعقد معاهدة صداقة وسلام تعتبر في وضع حرب مع الجزائر.

---

(1) . العقاد، المغرب العربي ...، نفس المرجع السابق، ص 20.

(2) . Mercier, op.cit., p 28.

(3).Nettement, Histoire…, p18.

(4) . Mercier, op.cit.p30.

(5). Monnerau et Watbled, « Négociation entre Charles Quint et Kheir-Ed-din (1538-1540) », revue africaine, N°15,année 1871, A. Jourdan, Libraire-éditeur,Alger, p139

ثانيهما: لا يصادق على أي معاهدة لا تعترف بتفوق الجزائر[1].

فأصبحت مرهوبة الجانب، وشاركت في معارك بحرية مع الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية المسيحية مثل 1560م، 1571م، 1574م، 1820م، 1821م، وأثرت على مجرى الأحداث الجيوسياسية لحوض البحر الأبيض المتوسط ويظهر من خلال التكالب المستمر للحملات العسكرية البحرية للدول الأوربية كمحاولة لفرض نفسها وكسر شوكة الجزائر مثل 1541م، 1664م، 1816م، ولكنها كانت غالبا ما تعود تلك الحملات خائبة وفاشلة، وهذا ما دعم في حصانة ورهبة مدينة الجزائر التي سميت بـ"الجزائر المحروسة" طيلة الحكم العثماني.

وحافظت الجزائر دائما على انتسابها للدولة العثماني ة رغم أن بعض الدراسات قالت أن الجزائر كانت مستقلة في قرارتها عن الباب العالي، ولكن الجزائر حافظت على رباط الانتماء إليها من خلال طلب دفعات من الجتندين في فترات متفاوتة وتكون عملية التجنيد الرسمية في المدن العثمانية تتم بعد الحصول على إذن رسمي من عند السلطان بطلب يقدمه باشا الجزائر عن طريق مبعوث يسلمه إلى القبطان باشا الذي يوجهه للباب العالي، مع مبلغ هام من المال والهدايا لكبار الموظفين، فيكتب فرمان شاهاني للعمال ورجال الدين بالمدن العثمانية لتسهيل عملية جمع المتطوعين الجدد للجندية بالجزائر، وبتمام العملية يحرر مبعوث الباشا تقريرا للسلطان يبين فيه عدد الجنود الذين تم تسجيلهم، وكان يتم نقلهم على عاتق السفن الجزائرية التي كانت تقوم بأي نشاط في الشرق وإذا انعدمت يقوم المبعوث باستئجار سفينة عثمانية أو أوروبية لإيصال هؤلاء المتطوعين للجزائر[2].

إلا أن الوضع العام في الدولة العثمانية تغير بتولي محمود الثاني السلطة، وإدخاله لإصلاحات عميقة في الدولة مست طائفة الجند، فعمد إلى القضاء على الجند الانكشاري في الواقعة الخيرية في 17 جوان 1826م للحد من تعنت هذه الفئة والتي وقفت أمام إدخال التحديثات للجيش العثماني الجديد، وكذا إنهاء مهمة الانكشارية وإبطالها مع قوانينها بالدولة العثمانية، ومنها توقيف عملية جمع المتطوعين، في وقت أحدقت بها المخاطر من كل جهة، كحربها ضد اليونان وضد روسيا[3].

---

[1]. عائشة عطاس، " نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني". من مجلة الدارسات التاريخية، مجلة يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، سنة 1988، ص 117.

[2]. محمود بوشنافي، "تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري الانكشاري اثناء العهد العثماني من خلال الوثائق" عن مجلة عصور الجديدة، ربيع 1435هـ/افريل2014م، يصدرها المخبر التاريخي تاريخ الجزائر، جامعة وهران 2014، ص 130-132.

[3]. محمّد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت 1401هـ/ 1981م، ص 429- 433.

مما أصبح يعرقل عملية تجنيد المتطوعين بسبب النظام الجديد في الدولة العثمانية، و إن التجنيد الذي تحصلت عليه الجزائر طال فئة المسرحين من الجند الانكشاري العثماني [1]، وربما تغاضت الدولة العثمانية على ذلك أو حتى شجعتها في تطوع هؤلاء المسرحين لتتجنب شغبهم في الدولة وتحيلهم إلى أراضي بعيدة عنها مكانيا، وهذا ما جعل حمدان بن عثمان خوجة يقول عن التجنيد في هذه المرحلة:" أنه بعدما كان يقتصر على تجنيد النزهاء والصلحاء، فان المكلفين بالتجنيد كانوا يفتحون أبواب الميليشيا لأي كان، حتى لأناس كانوا قد أدبوا أو أدينوا. وكان يوجد من بين المجندين يهود ويونانيون ختنوا أنفسهم." [2].

وفي ق 19م رغم ما كانت تعيشه الدولة العثمانية من أزمات وصراعا ت داخلية ودولية فإن هذا لم يمنعها من الاهتمام بتطورات النزاع بين إيالتها الجزائر وفرنسا، خصوصا عند قيام السفير الفرنسي بتقديم مذكرة للباب العالي يعلن فيها أن بلاده في حالة حرب على الجزائر، فإن الدولة العثمانية قامت بمراسلة وكلاء الجزائر بأزمير من أجل تجلي حقيقة الأمر [3]، لذا نجد الرد من خلال رسالة لا تحمل تاريخا أرسلها أحد الوزراء بالجزائر إلى الحاج خليل مفتي الجزائر بأزمير وقد ضمنها بداية النزاع مع فرنسا وأسبابه الحقيقية، وذكر الشروط التي تقدمت بها فرنسا للجزائر حتى يتم الصلح والمتمثلة في رفع العلم الفرنسي على القصبة وأسفله علم الجزائر، وكذلك الحال في البرج الفنار، ثم إطلاق مئة طلقة مدفع على شرف فرنسا بعد رفع علمها، وهو الشرط الذي رفضه الجزائريون باعتباره مناف لعقيدتهم ومضر بسمعتهم، كما عالج صاحب الرسالة قضية تجاوز الفرنسيون بتحصين الباستيون بالمدافع وزودوه بالجند، كما أبدى استعداد الجزائريين في الدفاع عن بلادهم ضد الفرنسيين [4].

تميزت العلاقات بين الجهتين بعلاقة التعاون والمساعدة المتبادلة من خلال مساهمة البحرية الجزائرية في انقاذ البحرية العثمانية في عدة حروب خاضتها باوروبا في اطار التضامن والجهاد ضد التكتلات النصرانية المسيحية، كما يظهر اسم الجزائر في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وهو ما يبرز استقلالية الجزائر عن الدولة العثماني ة في الدفاع عن مصالحها، ولكن في حالة التكتلات الأوروبية فان الجزائر تدعم الموقف العثماني، وهو الامر الذي جعل العلاقات بينهما متينة وطبعها روح التعاون والمساعدة [5].

---

(1) . المكتبة الوطنية بالحامة، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف الأول الوثيقة رقم 196.

(2) . حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 111.

(3) . المكتبة الوطنية بالحامة، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف الأول الوثيقة رقم 230.

(4) . المكتبة الوطنية بالحامة، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف الأول الوثيقة رقم 360.

(5) . كنتور رابح، العلاقات الجزائرية الخارجية في عهد الدايات، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص 147.

2.2. مميزات وخصائص ايالات المغرب العثماني:

في مستوى العلاقات بين حكومات المنطقة فتميزت في اغلبها بالصراع والنتاحر خاصة بين الجزائر وتونس فإنها تميزت بالصراع والحرب منذ أن دخلت الجزائر إلى فلك الدولة العثمانية [1] واعتمدت الحكومتين في بعض المرات في صراعهما على القبائل الحدودية وانجر على ذلك عدة معاهدات مثل الصلح الذي تم في 17 ماي 1628م وجاء في بنده الرابع: إذا تجاوزت أي قبيلة حدود الايالة الأخرى فإنها تخرج منها ويكون خراجها للايالة المنتقل إليها [2]، مثل قبيلة أولاد سعيد بتونس وقبائل الحنانشة بالجزائر، فهذه القبائل كانت كثيرة التنقل بين حدود البلدين خصوصا في مواسم جمع الضرائب، وقبائل الانجاد بالجهة الغربية نحو المغرب الأقصى.

وفي بعض المرات تقوم تلك القبائل بتجاوزات مما يجعل نظام الحكم يقوم بالإغارة عليها حتى ولو كانت في أراضي الدولة المجاورة مثل الحملة التي قام بها علي باشا بن علي ضد عشائر النمامشة التي دخلت إلى الأسواق التونسية في الجريد ورفضت تقديم الرسوم، كما تعرضت إلى ركب الحجيج المغربي في سنة 1750-1751م وبطلبهم رد ما اخذ لهم من قبائل النمامشة وهذا ما جعل الحكومة الجزائرية تكثف من حامياتها على هذه الجهة مثل حامية تبسة وبسكرة[3].

فالجانب السياسي لدول المغرب المنطوية تحت حكم الدولة العثمانية كان له أثر في انهيار اقتصادياتها، كأنظمة الحكم فقد مرت بعدة تنظيمات فمن البكلرباوية إلى الباشوية ثم الأغاوية فالدايوية أو البايوية، فكل هذه التنظيمات للحياة السياسية قد أدخلت المجتمع المغاربي إلى القيام بثورات ضد هذه الأنظمة إما نتيجة للضرائب التعسفية والثقيلة، أو تغريم أو مصادرة الأملاك وهذا ما أدى إلى عدم الاستقرار الداخلي لهذا المجتمع في العهد العثماني، وعدم اهتمام الفلاح بأرضه، والحرفي بمهنته، والانصراف بالتالي عن الموارد اللازمة للتعليم وتحسين الصحة وعدم مواكبة التحولات الجيوسياسية التي طرأت على المنطقة، فنجم عن ذلك انحطاط وركود اقتصادي واجتماعي كانت له عواقب وخيمة أثرت على مجرى الأحداث.

---

(1). A. Berbrugger. « Des frontières de Algérie ». in R.A. N° 4. Alger1859-1860. P 401.

(2) . روسو، الحوليات...، ص203.

(3) . ناصر الدين سعيدوني، " الإنسان الاوراسي وبيئته الخاصة (دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الاوراس قبل وأثناء العهد العثماني)"، عن مجلة الأصالة، العدد 60-61، أوت- سبتمبر 1978، مطبعة البعث، الجزائر 1978، ص 134.

ثانيا. العلاقات السياسية الجزائرية المغاربية:(1519-1830م)

1. العلاقات السياسية الجزائرية مع المغرب:

برزت الجزائر في الفترة الحديثة كقوة سياسية وعسكرية لها مكانتها في البحر الأبيض المتوسط، لذا ربطت علاقات في مختلف المستويات مع عدة دول متوسطية وغيرها، ومنها دول الجوار أو دول بلاد المغرب وأيضا مع المشرق، فما هي سمات تلك العلاقات؟ وما مظاهرها؟. وننطلق في هذا الباب مع المغرب الأقصى، الذي شهد قيام عدة أسر فيه توازت مع الدولة العثمانية بالجزائر أولها الوطاسية ثم السعدية وأخير العلوية الحالية، وسنقف على السمات العامة التي تميزت بها العلاقات السياسية بين البلدين ما بين ق16 إلى ق19م.

1.1. مع الأسرة الوطاسية

1.1.1. الوطاسيون: هم فرع من بني مرين ينتمون إلى قبيلة زناتة الأمازيغية، برزوا في العهد المريني بالمغرب الأقصى، وشغلوا في البداية بالجيش والإدارة ثم الوزارة وتحولوا للوصاية في فترة آخر حكم بني مرين في عهد عبد الحق (1420-1458م)، ليتحولوا بعدها في سنة 1471م إلى تصدر الحكم بعد القضاء على الحكم المريني بفاس في 1465م، فاستبد مُحَمَّد الشيخ الوطاسي بالحكم وأسس الدولة الوطاسية، واعتمد في بناء دولته على أهل فاس وما تمده القبائل من رجال مقابل إعفائها من الضرائب ومنحها الامتيازات، وأيضا ولاءات بعض المناطق.

2.1.1. ظهور دولتهم:

بنهاية عهد بني مرين جعل عبد الحق بن سعيد المريني بطانته من بين اليهود انتقاما من الوطاسيين الذين عملوا في بلاطهم كما قلنا كوزراء وحجاب وفي عهده كأوصياء، فنازعوه الحكم فقضى عليهم في واقعة الوطاسيين، واتخذ هارون كوزيره وشاوويل حاجبه وقائد الشرطة بفاس الحسين اليهودي، كجامع للمغارم [1]، مما جعل سكان فاس يقتلون السلطان عبد الحق المريني مع حاشيته في يوم الجمعة 27 رمضان 869هـ/22ماي1465م[2].

وقاموا بمبايعة أبي عبد الله مُحَمَّد الحفيد الشريف الإدريسي نقيب الأشراف بفاس إلى أن حاصره مُحَمَّد الشيخ الوطاسي وضيق عليه ودخلها سنة 875هـ/1471م[3]وصفا له الجو وأصبح أول ملوك الوطاسيين بالمغرب،

---

[1]. مجهول، المصدر السابق، ص 59-61.

[2]. أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا، تح وتع: أحمد الناصري، ج4، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2001، ص 298-299.

[3]. Georges Drague, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, T2, J.Peyronnet et Cie. Edition, Paris 1951, P48.

وتواصل حكمهم إلى غاية القضاء على آخر فرد منهم في حكم أبي حسون الوطاسي، في الواقعة المعروفة بمسلمة سنة 961هـ/1554م ودخول السلطان مُحَمَّد الشيخ السعدي لها[1].

وصاحبت قيام الوطاسيين ظروف دولية اتسمت بالحركية الكبيرة، لذا فقد فتحت عدة جبهات في وقت واحد تقريبا فأولها ذاك الخطر الخارجي الخطير الداهم من السواحل الأيبيرية على الشواطئ المتوسطية والمحيطية، ووضع قدمه في عدة ثغور، والدخول العثماني إلى الجزائر وتونس، واستقلال عدة مناطق داخلية عن الحكم المركزي، نتيجة بيئة ناقمة ومتفككة بفعل الأزمات الناتجة عن المجاعة والأوبئة وقلة الأمن، زاد في تفاقم الوضع الداخلي وشق عصا الطاعة، في ظل حركة تصوف متنامية في الزوايا الشاذلية والجزولية التي وجدت في تلك الظروف الصعبة بيئة صالحة لنموها وانتشارها، فظهر على مسرح الأحداث رجال وأعوان من بين شيوخ الزوايا قاموا بأدوار حاسمة، بدعم التوسع السعدي من الجنوب، فانعدمت الوحدة السياسية تحت الراية الوطاسية، مما جعلهم غير قادرين على فرض سيطرتهم[2].

3.1.1. العلاقات الجزائرية الوطاسية:

إلا أن تلك الفترة حرجة من ظهور الاحتلال الاسباني والبرتغالي على السواحل المتوسطية والأطلسية على المغرب، والتدخل العثماني بالجزائر ومدّ نفوذه إلى غاية تلمسان التي تجاور الوطاسيين، نتساءل عن طبيعة العلاقة بين هذه الأسرة وحكام الجزائر، في ظل ظرف دولي حرج سمته الاحتلال والتهديد والهجرة والإبادة، فكيف واجه الطرفين هذه الأوضاع؟.

فبظهور العثمانيين على مسرح المغرب الأوسط بداية من القرن 16م كانت الدولة الوطاسية على مشارف الهلاك، مع درجة متقدمة من الضعف لأنها ورثت حالة متدهورة على كل الأصعدة بعد المرينيين، ولهذا فالوطاسيون لم يشهروا العداء للعثمانيين رغم استنجاد ملوك بني زيان بهم، فتجنبوا فتح باب جديد من العداء، أمام تصاعد المد السعدي من الجنوب والتحرش الأيبيري من الشمال.

لذا عمل عروج بعد دخول تلمسان إلى إيجاد حلف دفاعي هجومي مشترك مع سلطان فاس مُحَمَّد البرتغالي الوطاسي ضد العدو الأيبيري المشترك، مع إبداء عروج استعداده لتقديم كل العون ضد مناوئيه بالمغرب، فوافق مُحَمَّد

---

[1]. عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج4، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1993م، ص 481.

[2]. مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في العصر السعدي من خلال حوالات تارودانت وفاس، ج1 منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1428هـ/2007م، ص 75.

البرتغالي بهذا المسعى ولكنه لم يصل إلى حد التجسيد، بدليل عند مهاجمة القوة الاسبانية لتلمسان لم ينجد الوطاسي عروج الذي استشهد بالوادي المالح في ماي 1518م[1].

وفي عهد البيلرباي خير الدين زاد التعاون بين البلدين بتقديم الدعم، فقد ترددت السفن الجزائرية على الموانئ المغربية كالعرائش في 1523م لقضاء فصل الشتاء بها مع التزود بما تحتاجه، ولذلك فالعلاقات أصبحت حسنة بعد فتورها على إثر مقتل عروج، وبعد تحرير حصن الباستيون في 1529م دعا خير الدين كل من أمير بادس وتونس وفاس للقيام بحملة مشتركة معه لطرد الأسبان من وهران، غير أن المشروع لم ير النور لأن الوطاسيين كانوا في صراع مع السعديين الذين استولوا على مراكش منذ 1524م[2].

ورغم ذلك فالعلاقات لم تنقطع فأحمد الوطاسي وأبا حسون أبديا رغبة في التعاون فتطورت العلاقات بين البلدين، فبقيت الموانئ الشمالية للمغرب لتزويد بيلرباي خير الدين بما يحتاجه، وإرسال الوطاسي مجموعة من السفن مملؤة بالحبوب لمواجهة مجاعة سنة 1531م بالجزائر، كما أرسل حسن أغا بعد حملة شارل الخامس في 1541م مبعوثا إلى بادس لشراء السفن، وزودت موانئ تطوان السفن الجزائرية بما تحتاجه، لذا فالعلاقات في هذه الفترة كانت تتسم بالتقارب والتعاون بسبب العدو المشترك واستمرت الحالة على ذلك إلى غاية بيلرباي حسن بن خير الدين (1544-1551م)[3].

كما انتقل عدد كبير من العثمانيين للعمل في البلاط الوطاسي والجيش، خصوصا بعد إبرام الإمبراطورية العثمانية صلحا مع النمسا واسبانيا في 1547م عرف بمعاهدة أدرنا، أدت إلى تعطيل النشاط الحربي ضدها، فكان متنفس البحارة العثمانيين بغرب المتوسط التوجه نحو المغرب الأقصى وتقديم خدماتهم عليهم، وتواتروا ونزلوا عليها بالآلاف، ودخلوا بعدة تخصصات، فشكلوا فرقا في الجيش السعدي فيما بعد بمختلف فرقه.

وكانت أهم التطورات في العلاقات بين الطرفين عند انهزام وأسر أحمد الوطاسي أمام مُحَمَّد الشيخ المهدي السعدي في سبتمبر 1545م، والتجاء الأسرة الوطاسية للاستنجاد بالسلطان العثماني سليمان القانوني لتطلب منه تقديم المساعدة والتدخل لفك الأسير، وتعلن خضوعها وولاءها للسلطان العثماني، فصكوا العملة باسمه والدعوة له على خطبة المنابر، فأرسل هذا الأخير وفدا إلى مراكش حمل رسالة بلهجة آمرة لمحمد الشيخ السعدي، يأمره بإطلاق

---

[1]. الناصري، المصدر السابق، ج4، ص 298-299.

[2]. عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ج1، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2006م، ص 35.

[3]. نفسه، ص 7.

سراح الأسير وتعويض عنه مع صك العملة وإقامة الخطبة باسمه، لكن مُحَمَّد السعدي رد الوفد خالي الوفاض، فقام بتكثيف العمل للقضاء على الوطاسيين والتحضر للعثمانيين [1].

وبعدم تحقيق رجاء الأسرة الوطاسية التي رضخت لشروط مُحَمَّد الشيخ بالتنازل على مكناسة الزيتون مقابل إطلاق سراح أحمد الوطاسي في 1547م، فترت العلاقات بين الطرفين فإن أحمد الوطاسي لم يطلب دعم الجزائر حتى أخاه أبا حسون بعد الإطاحة الثانية بأحمد في 1549م، فإنه توجه نحو اسبانيا ثم البرتغال بدل طلب النجدة من الجزائر، التي في نهاية سيأتي منها بالدعم فيما بعد، بسبب سياسة مُحَمَّد الشيخ العدائية ضد العثمانيين، وقيامه بحملة على تلمسان في 1550م، فتم تنصيب أبو حسون في جانفي 1554م تحت قيادة صالح رايس، وطرد مُحَمَّد الشيخ من فاس الذي أعاد عليها الكرة في سبتمبر 1554م بعد خروج الجيش الجزائري منها، ليقضي بذلك على الأسرة الوطاسية، لتدخل الجزائر في علاقاتها مع الأسرة السعدية بالمغرب الأقصى [2].

فمن خلال هذا العرض الوجيز يمكن استنتاج أن العلاقات الجزائرية الوطاسية اتسمت بنوع من عدم التدخل في الأمور الداخلية للبلدين فالوطاسيون لم يعينوا الزيانيين عندما لجأوا إليهم، والعثمانيون لم يتدخلوا فيها إلا بطلبهم، وهنا من يبرر ذلك بانشغال الجزائر بالحرب على اسبانيا جعلها لا تفكر في التدخل في المغرب الأقصى، مع العلم أن الوطاسيين قد أعلنوا الدخول تحت راية العثمانيين طواعية في 1545م نتيجة التهديد السعدي لهم.

رغم تدخل الجزائر في المغرب الأقصى في عهد صالح رايس سنة 1554م، فإنه لم يسع إلى إلحاق فاس بالدولة العثمانية كما فعل عروج أو من جاء بعده مع مدن البلاد المغرب كتلمسان وتونس.

فاتسمت بنوع من التعاون بين الطرفين بالتموين وفتح الموانئ وتقديم خدمات الجند والتقنيات ضد عدو مشترك مثلته اسبانيا والبرتغال، رغم فتورها أحيانا فلم تصل لحد الصدام كخلفهم.

---

[1]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 78-79.

[2]. نفسه ، ص 81-82.

2.1. مع الأسرة السعدية:

1.2.1. التعريف بالشرفاء السعديين:

تكاد تتفق الكتابات حول هذه الأسرة العربية التي انتقل أوائلها من ينبع النخل بالحجاز بطلب من أهل درعة بجنوب المغرب الأقصى[1]، واستقروا بقرية تاكمادارت في حدود القرن 06هـ/12م، وممن ذكر عمود نسبهم إلى آل البيت كالمقري في روضة الآس، والافراني في الحادي، وابن القاضي في درة الحجال عندما رفع نسب السلطان أحمد المنصور السعدي بقوله: " ابن أبي عبد الله مُحَمَّد المهدي بن أبي عبد الله القائم بأمر الله تعالى بن أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن مُحَمَّد بن أبي القاسم بن مُحَمَّد بن الحسن بن عبد الله بن أبي مُحَمَّد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن مُحَمَّد المهدي بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب"(ﷺ) [2].

وسميوا بالزيدانيين، نسبة إلى جدهم زيدان بن أحمد أول من دخل منهم المغرب واشتهروا باسم السعديين نسبة إلى بني سعد بن بكر بن هوزان التي منهم حليمة السعدية مرضعة الرسول (ﷺ)، وهذا قول من يقدح في نسبهم لا غير ومنهم العلويون خلفاؤهم وهناك من يقول بأن الناس سعدوا بهم، فصار هذا الاسم علما عليهم [3]، ومهما يكن فإن هذا الاسم هو الذي شاع استعماله من طرف المؤلفين والكتاب.

2.2.1. مراحل تكوين دولتهم:

في الوقت الذي تكالبت على المغرب كل من اسبانيا والبرتغال لاحتلاله على الجهة الشمالية والغربية، فقد احتل الأسبان واد النون وقاموا ببناء حصن سانتا كروز دوماربيكينا في 883هـ/ 1478م، واحتل البرتغال كل من سبتة818هـ/1415م، القصر الصغير 863هـ/1458م أصيلا وطنجة في 876هـ/1471م، لتظهر اتفاقيات تفاهم بينهما في احتلال المنطقة كاتفاقية طليطلة 885هـ/1480م، توردیسیلاس 900هـ/1494م وسينترا 915هـ/1509م وتطبيقا لهذه الاتفاقيات احتلت اسبانيا المناطق الواقعة شرق حجر بادس كمليلية في 903هـ/

---

(1). مُحَمَّد الصغير الافراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1998، ص39.

(2). أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد المكناسي الشهير بابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: مُحَمَّد الأحمدي أبو النوار، ج1 مكتبة دار التراث، القاهرة 1970م، ص106.

(3). إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء 1420هـ/2000م ص241.

1497م، غساسة 910هـ/1504م[1]، حجر بادس 914هـ/1508م وباقي السواحل المغاربية إلى طرابلس الغرب، والبرتغال احتل الشواطئ الواقعة غرب حجر بادس كمدينة ماسا في 903هـ/1497م، مازاكان908هـ/1502م، آغادير 911هـ/1505م موكادور 912هـ/ 1506م أسفي 914هـ/1508م، أزمور 919هـ/1513م[2].

إلى جانب وصول الدولة العثمانية إلى المغرب الأوسط وتأسيسها لإيالة الجزائر في 925هـ/ 1519م التي امتدت غربا إلى الإمارة الزيانية بتلمسان، فبات المغرب مهدد بالطارئين الجدد على تخومه، وحينها كان محكوما من قبل السلالة الوطاسية التي وصلت إلى درجة متقدمة من الضعف في حكم مُحَمَّد البرتغالي(1504-1526م) وابنه أحمد (1526-1549) لتختفي مع أبي حسون (1554م)، فأصيب المغرب في عهدها بعدة نكبات وأزمات أدت إلى وضع داخلي هش شبيه بالملوك الطوائف بالأندلس المتزامن مع خروج المسلمين من هذه الأخيرة[3].

كل هذه المتغيرات ساعدت على تنظيم حركة في منطقة السوس، ب قيام قبائلها بانتداب أحد صلحائها في قيادتهم للجهاد، وهو مُحَمَّد بن مبارك في آقا الذي اعتذر وزكى لهم الشريف مُحَمَّد بن عبد الرحمن لهذه المهمة الجليلة، فبايعه شيوخ الزوايا ورؤساء المصامدة وعامة السوسيين كأمير للجهاد في 915هـ/1510م[4]، فتلقب بالقائم بأمر الله، فدانت له عدة قبائل بالولاء مع تقديم الدعم البشري والمادي اللازم لهذه الحركة [5]، وإن كان صاحب تاريخ الدولة السعدية وطوريس[6]يرجع عملية الجهاد إلى تفويض السلطان الوطاسي لهؤلاء الأشراف[7].

برزت ونمت الدولة السعدية على أساس ديني سياسي، لأنهم يملكون خاصية النسب الشريف المانح لأحقية الحكم الشرعي من بني وطاس، وإسكات أي معارضة بتوحيد صف حركة الجهاد ضد العدو، ومن أفضل من

---

1. Terrasse, Histoire, T2, Op.cit, 115-118.

2. Jacques Caillé, La Petite histoire du Maroc, 1er série, Chérifienne d'édition et publicité, Casablanca 1950, P 57-61.

3. Berque, Op.cit, P 83.

(4). الزياني، الروضة ...، المخطوط السابق، ص 30.

(5). بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 50.

(6). دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، تر: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص 33.

(7). مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط1، تح: عبد الرحيم بنجادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994م، ص 13.

الأشراف في حمل رايته، لذا زكاهم رجال التصوف والصلاح في ظل إكبار المغاربة والتعظيم لهم، وأيضا تفاقم الخطر الأجنبي الذي طال عدة ثغور بالسواحل وبدأ يمد بنظره نحو الدواخل أمام عدم التنسيق في رده[1].

نشأت دولة الشرفاء الزيدانيين الحسينيين المعروفين بالسعديين على يد مُحَمَّد بن عبد الرحمن الملقب بالقائم بأمر الله، ونمت مع أبنائه[2]، بقيادة أحمد الأعرج[3]وأخيه مُحَمَّد الشيخ[4]ومن بعدهما، فهزما البرتغال في 948هـ/1541م بأغادير وأجلوه عن أسفي وآزمور في نفس السنة، كما أخرجوه من أصيلا والقصر الكبير في 957هـ/1550م، وكان السقوط المتوالي لهذه الحصون في يد الجيش المغربي صداه الكبير داخل البلاد وخارجها، هذا الأمر أكسب السعديين شعبية كبيرة على حساب الوطاسيين الذين لم يستطيعوا درء الخطر الداهم عن البلاد[5].

الأمر الذي جعل المغرب الجنوبي والأوسط يندرج تحتهم، خاصة بعد دخول مراكش سنة 931هـ/1524م[6]، التي كانت نقطة صدام مع الوطاسيين، في عدة مواقع ظفر فيها السعديون كمعركة آنماي في935هـ/1528م ومعركة بوعقبة في 943هـ/1536م، وفي هذه الأخيرة تم تقسيم البلاد بينهما [7]الوطاسيين بالشمال وقاعدتهم فاس والجنوب للسعديين وقاعدتهم مراكش[8].

ما فتئت أن تجددت الحرب بين أحمد الوطاسي ومُحَمَّد الشيخ المهدي فكانت معركة واد درنة في 952هـ/ 1545م، انتصر فيها مُحَمَّد الشيخ وأسر أحمد الوطاسي وابنه أبو بكر، ليتم إطلاق سراحه في 954هـ/1547م بعد منح مُحَمَّد الشيخ مدينة مكناس، ليتحول نحو فاس التي دخلها في956هـ/جانفي 1549م وإلقاء القبض على الوطاسي، وأخذ البيعة منها [9]فكانت النهاية الأولى للدولة الوطاسية، فسارعت بذلك المناطق في الدخول تحت

---

(1). حركات، المرجع السابق، ج2، ص 243.

(2). مُحَمَّد حجي، جولات تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م، ص 205.

(3). **السلطان أحمد الأعرج**: ولد 891هـ/1486م وبويع له في 918هـ/1512م، مهد البلاد وعبأ الأجناد لرد الثغور المغربية. (الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 20.).

(4). **السلطان مُحَمَّد الشيخ المهدي**: ولد في 896هـ/1490م، لقب بالشيخ (أمغار)، نشأ في عفاف وصيانة، عني بالعلم في صغره، بايعته فاس في 956هـ/1549م، قتل بجبل درن سنة964هـ/1557م. (الناصري، المصدر السابق، ج5، ص27.)

(5). عبد الحق بنبيس، " الدبلوماسية المغربية في فجر العصر الحديث"، عن مجلة دعوة الحق، ع12، س1، ذو القعدة 1377هـ/ جوان 1958م، تصدرها وزارة عموم الأوقاف، الرباط 1958م، ص92.

6. Drague, Op.cit, T2, P84.

7. Levi-provençal, Extraits…, Op.cit, P84.

(8). مجهول، تاريخ ...، المصدر السابق، ص 14.

(9). الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 29-30.

كنفه، وفي 957هـ/1550 دان له كل المغرب تقريبا إلا بعض الجيوب بيد البرتغال (سبتة، طنجة مازاغان) والأسبان (مليلية) والجزائر في الشرق المغربي (وجدة) [1].

وبإقامة مُحَمَّد الشيخ لهذه الوحدة توجه بنظره إلى أقرب المناطق القريبة منه فقام بإرسال حملة على مدينة تلمسان سنة957هـ/1550م فكانت بداية توتر للعلاقات الجزائرية المغربية وكذا مناصرة أبي حسون الوطاسي وإعادته إلى الحكم تحت إشراف صالح رايس في 961هـ/ جانفي 1554م، الذي طرد مُحَمَّد الشيخ من فاس [2]، وكان قد أقام فيها نحو خمس سنوات كانت شديدة الوطأة على أهلها، أراق فيها الكثير من الدماء مثل قتله للشيخ عبد الواحد الونشريسي بغيا وعدوانا، وفرض سلطانه بالقوة على أهلها الذين جافوه وناصبوه العداء متعلقين بأيام الدولة الوطاسية بذكر أيامها بخير، لذا عندما تغلب أبو حسون والجيش العثماني عليه، خرجوا واستقبلوه استقبال الفاتحين[3]، وصور الافراني تلك اللحظات في كتابه النزهة بقوله:"... ولما دخل أبو حسون فاسا، فرح به أهلها فرحا شديدا، وترجل هو عن فرسه، وصار يعانق الناس كبارا وصغارا، وشريفا ومشروفا، وهو يبكي على ما دهمه وأهل بيته... واستبشر الناس بقدومه وتيمنوا بطلعته..." [4].

ولكن ما فتئ يخرج الجيش الجزائري من التراب المغربي، حتى زحف مُحَمَّد الشيخ بقواته على فاس وقضي على أبي حسون وأنهى الدولة الوطاسية للمرة الثانية، ودخل فاس ثانية في 25 شوال 961هـ/ 22سبتمبر 1554م[5]، وعامل أهلها معاملة قاسية، بسبب تأييدهم لأبي حسون وفتح المدينة له، فقد ضيق عليهم وطالبهم بتعويض المال الذي أخذه الجزائريون فسفك دم 200 من أثرياء فاس لمحاولتهم إخفاء أموالهم [6]، ورغم كل هذه الأعمال فإن السلطان مُحَمَّد الشيخ يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة السعدية في المغرب.

وعلى إثر ذلك شعر بقوته فخالجته نفسه والأحلام بطرد العثمانيين من بلاد المغرب ككل بضرب موعد كان قد قطعه للسلطان العثماني على اللقاء بمصر، فتكاتفت عدة أسباب في تلك الفرقة التي انتهت نهاية مأساوية، منها رفض مُحَمَّد الشيخ الامتثال لمطالب السلطان العثماني في إطلاق سراح الوطاسي الذي أسره في 952هـ/1545م،

---

1. Terrasse, histoire, T2, Op.cit, P166-167.

(2). بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 58-59.

(3). عبد القادر الصحراوي، " اقطعوا رأسه بشاقور" عن مجلة دعوة الحق، ع6، س1، جمادي الأولى 1377هـ/ ديسمبر 1957م تصدرها وزارة عموم الأوقاف، الرباط 1957، ص42.

(4). الافراني، المصدر السابق، ص 73.

(5). بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 58-59.

(6). طوريس، المصدر السابق، ص 218.

كما أن مُحَمَّد الشيخ كان ينعت السلطان العثماني بسلطان الحواتة بسبب الاعتماد على السفن في النقل [1]، مع دخوله في مناوشات من أجل تلمسان، فكان رد الدولة العثمانية عنيفا بأن طالبت برأسه، فأرسلت فرقة قطعت رأسه بشاقور كما فعل مع الفقيه عبد الوهاب الزقاق[2]، وعرض رأسه على السلطان سليمان القانوني باسطنبول ثم أصدر أمره الكريم أن توضع الرأس في شبكة نحاس وأن تعلق على باب القلعة [3]، ويقول الافراني في نزهة الحادي في ختام حديثه عن أبي عبد الله الشيخ :" وحمل إلى مراكش بغير رأس، فدفن قبلة جامع المنصور في قبور الأشراف هنالك، وقبره شهير"[4].

كما أن فترة أبنائه من بعده ما بين السلطان عبد الله الملقب بالغالب(1557-1574) والسلطان أحمد المنصور(1578-1603م) شهدت بناء الدولة وتثبيت أركانها، غير أن السلطان الغالب لم يوفق إلى كسب الرأي العام في المغرب ولا حتى ابنه من بعده ، لأن أخويه عبد المالك [5](1576-1578م) وأحمد قاما ينددان بسياسة التحالف مع أعداء الإسلام وجاء مُحَمَّد المتوكل بن الغالب (1574-1576م) إلى العرش فأمعن في سياسة التحالف مع أوروبا، فعمل الأخوان على رد العرش إليهما فتوجها لطلب المعونة من السلطان العثماني ضد ابن أخيهما، وأقنعاه أن بقاءه مكتوف الأيدي حيال هذه الأحداث الخطيرة، سيؤدي حتما إلى ضياع أقاليم المغرب كلها من يد العثمانيين[6].

وأمر السلطان بتجهز حملة من الجزائر، ودخلت فاس في 984هـ/مارس1576م بقيادة رمضان باشا الجزائر(1574-1577م)، والإطاحة بالمتوكل المتحالف مع اسبانيا والبرتغال. الذي التجأ من طنجة إلى حلفائه، حيث أصيب هذا التحالف بضربة في الصميم في معركة وادي المخازن الشهيرة في 1جمادى الثاني

---

[1]. الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 37.

[2]. **عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن علي الزقاق**: هو حفيد الفقيه علي الزقاق صاحب المنظومة المشهورة في الفقه المالكي، خطيب جامع الأندلس، مدرس وعالم متضلع بفاس. (ينظر: الصحراوي، المقال السابق، ص 41.)

[3]. Terrasse, histoire, T2, Op.cit, P 172.

[4]. الافراني، المصدر السابق، ص 93.

[5]. **عبد الملك**: هو رابع أبناء السلطان السعدي مُحَمَّد الشيخ المهدي وكنى عبد الملك بأبي مروان ولقب بالغازي والمعتصم بالله، تمرس في مدرسة والده تخرج منها من ضبط وتدبير أمر الدولة، فكان وال على إقليم تافيلالت ليغترب مع أخيه أحمد بالجزائر في عهد أخيهما عبد الله بالمغرب، الأمر الذي ساهم في تكوينه فقد تعلم التركية والإيطالية إضافة إلى الاسبانية، قاد حملة عثمانية ضد ابن أخيه وأخذ منه السلطة في 1576م وتوفي في معركة وادي المخازن أوت 1578م. (ينظر: عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج3، ط1، دار ابن حزم، بيروت 1430هـ/2010م، ص 1505.).

[6]. Terrasse, histoire, T2, Op.cit, P 183-184.

986هـ/4أوت1578م[1]، وفقد فيها الملوك الثلاثة: ملك البرتغال سيباسيتان، وحليفه المتوكل وعبد الملك حياتهم، فسميت بمعركة الملوك الثلاثة[2].

على إثر هذه المعركة بويع للسلطان أحمد[3]المنصور التي تشهد في عهده الدولة السعدية أوج عصورها ومراحلها في الاستقرار والتنظيم، وأعجب بنظم الدولة العثمانية [4]فحاول تقليدها في بنائه جيشا نظاميا على شاكلة الجيش العثماني، موحد الزى ومجهز بأحدث الأسلحة النارية، وضم أندلسيين وأوروبيين (علوج) وعثمانيين ثم سودانيين، وبقي هذا النظام في المغرب عدة قرون [5]، كما استحدث مجلس الديوان الذي يعقد يوم الأربعاء للشورى، ويضم أعيان ووجهاء الدولة لمناقشة القضايا والأخطار[6].

3.2.1. سمات العلاقات السياسية الجزائرية مع الأسرة السعدية

يعود سبب قيام السعديين كما قلنا إلى الفتن التي عصفت بالمغرب في بداية ق 16م، مع ضعف الوطاسيين وتشتت أمرهم، وصاحب ذلك استفحال الغزو البرتغالي والاسباني على السواحل المتوسطية والأطلسية ، لذا قامت دولتهم على أساس جهاد المحتل المغتصب للأراضي، ومن خلال ذلك تحصلوا على البيعة والدعم الروحي والمادي ويضاف إليه نسبهم الشريف لآل البيت، وتوسعت دولتهم على الجنوب والوسط المغربي[7]، مما جعلهم يدخلون في صدام مع الوطاسيين، ففي ظل هذه المعطيات كيف كانت العلاقات الجزائري المغربية في هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؟ وفي ظل تحول الحكم من يد الوطاسيين للسعديين؟.

ونتيجة احتدام العلاقة بين الوطاسيين والسعديين أدت لعدة مواجهات دموية بين الطرفين لم تتدخل فيها الجزائر إلا في مرحلتها الأخيرة على اثر سقوط الوطاسيين، فنجد أن السعديين أطاحوا بهم في عدة مواقع كمعركة انماي

---

(1). الزياني، الروضة...، المخطوط السابق، ص 35.

2. Inconnu, Histoire du Muley Raxid, Roy de Tafilete, Gervais clovzier M.DC.LXX, Paris, P105-107.

(3). **السلطان أحمد:** أصبح سلطانا بعد معركة وادي المخازن، ومنح لقب المنصور، صحب أخاه عبد الملك لخارج المغرب نحو الدولة العثمانية، استعمل كل خبرته ومعارفه في فترة حكمه واهتم بالجيش، فكان عصره أزهى فترات هذه الأسرة. (voir : Terrasse, histoire, T2, Op.cit, P191-194.

(4). الحسن السايح، " الثقافة المغربية في عصر السعديين"، عن مجلة دعوة الحق، ع3، س7، رجب 1383هـ/ ديسمبر 1963م، تصدرها وزارة عموم الأوقاف، الرباط 1963م، ص26.

(5). حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج1، ص 47.

(6). بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

(7). عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط 1427هـ/2006م ص 328-329.

1528م، مشرع بوعقبة 1536م، معركة واد درنة في 1545م، التي تم فيها إلقاء القبض على السلطان أحمد الوطاسي مع ابنه كأسرى لدى مُحَمَّد الشيخ السعدي، الذي جعل فداءه منحه مدينة مكناسة[1].

وفي ظل هذه الظروف توجه الوطاسيون بأنظارهم للدولة العثمانية طلبا لمساعدتها في مواجهة خطر السعديين، ووصلوا لحد وضع أنفسهم كرعايا للسلطان العثماني، مما جعله يوجه بعثة نحو مُحَمَّد الشيخ السعدي بمراكش باستعمال لهجة آمرة، جعلته يرفض الوساطة العثمانية ويرجعها خالية والوفاض، وهذه أول بادرة لتوتر العلاقات بين الجزائر العثمانية والدولة السعدية الناشئة التي تتصعد فيما بعد، الأمر الذي جعل مُحَمَّد الشيخ السعدي يسرع في القضاء على الدولة الوطاسية التي أطاح بها في 1549م وفي 1554م حيث انهي وجودها، ليوجه اهتمامه إلى الجزائر[2].

بعدما قضى السلطان مُحَمَّد الشيخ السعدي على الدولة الوطاسية انشغل بالجزائر واقرب منطقة منه هي تلمسان التي ترجع بعض المراجع أن الحملة التي وجهها مُحَمَّد الشيخ السعدي إليها بقيادة أبنائه الحران وعبد القادر، كانت بسبب طلب أعيان وعلماء مدينة تلمسان لتخليصهم من الفوضى السياسية التي كانت ضاربة بها بسبب تناحر البيت الزياني بسيوف اسبانية تارة وعثمانية في أخرى [3]، ولكن هناك من يذهب إلى أن هذه الحملة داخلة في إطار مشروع كبير لمحمد الشيخ السعدي الذي كان يرى في نفسه أحقية الخلافة بدل العثمانيين، لذا نجده يضرب موعد للسلطان العثماني عندما وجه له وفد ثاني لتهنئة على توليه سده الحكم، على انه سيلتقي به في مصر، في حين تيار ثالث يقول أن هذه الحملة كانت بسبب اتفاق سري بين الأسبان والسعديين في إزاحة العثمانيين من الجزائر، ولكن هذا الاحتمال الأخير ضعيف لعدم وجود أدلة قوية تدعمه من خلال سير الأحداث السياسية والعسكرية في المنطقة[4].

لتدخل العلاقات الجزائرية المغربية مرحلة جديدة تحت راية السعديين، فبعد استكمال السلطان مُحَمَّد الشيخ السعدي وحدة المغرب تحت سلطته، ما عدا سبتة وطنجة، مازغان بيد البرتغال، ومليلية بيد الأسبان، وبعض الجيوب بالمنطقة الشرقية كوجدة تحت راية العثمانيين.

كما تزامن مع هذه الفترة التحاق عدد من العثمانيين كجند بالجيش المغربي من حملة بنادق وحرس للسلطان نفسه، حيث انتقلت قرابة ألف عثماني إليهم في 1549م للعمل في صفوف الجيش البري والبحري ومصانع

---

[1]. حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج1، ص 47.

[2]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[3]. كريم، المغرب ...، المرجع السابق، ص 328-329.

[4]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

الأسلحة والسفن، كما قام مُحَمَّد الشيخ بتقديم طلب للعثمانيين على توظيف آخرين، وممن قدم خدماته درغوث رايس، وكما قلنا سابقا فهو أثر لمعاهدة أدرنا التي أقامتها الدولة العثمانية مع اسبانيا وأدت لوقف القتال بينهما في 1547م، مما جعل البرتغال والأسبان يدقون ناقوس الخطر لهذا التطور فقاموا بتعزيز الحصون، ولكن ما فتئت أن تبددت مخاوفهم بسبب تعكر العلاقات الجزائرية السعدية، ففي صيف 1550م يقدم مُحَمَّد الشيخ على شن حملة عسكرية على تلمسان[1].

وكانت هذه الحملة بقيادة أبنائه حيث منيت بهزيمة نكراء راح ضحيتها أبناؤه قادة الجيش وعزم بيلرباي حسن بن خير الدين على اجتياح المغرب، ولكن السلطان العثماني أعفاه من مهامه وأقام صالح رايس(1552-1556م) الذي كلفه بإقامة الصلح مع السعديين في جانفي 1552م، وكان في بنود هذا الاتفاق هو وضع واد ملوية كخط فاصل بين الدولتين، كما يلتزم الطرفين بعدم الاعتداء خصوصا من طرف القبائل[2].

ولكن رغم محاولة صالح رايس في التقارب لتحسين العلاقات والتوصل إلى اتفاق معهم، لكنه لم يدم طويلا وتم اختراقه بهجوم قبائل مغربية على حدود تلمسان، فاتخذت كذريعة لإعلان الحرب على فاس، رغم محاولات التبرير التي قام بها السلطان مُحَمَّد الشيخ، وخصوصا أن في هذه الفترة أبا حسون الوطاسي في مدينة الجزائر بفتل حبائله لحكامها لإعادته لحكم فاس، فكان له ذلك مقابل التكفل بأعباء ومصاريف الحرب. فناصرت الجزائر أبا حسون الوطاسي، وقامت بإرجاعه في جانفي 1554م، ولكن بعد مدة قصيرة من خروج مُحَمَّد الشيخ من فاس عاود الدخول إليها بمجرد خروج الجيش الجزائري في سبتمبر 1554م وتم القضاء النهائي على الأسرة الوطاسية.

لترسل الدولة العثمانية وفدا لتهنئة السلطان السعدي إلا أنه زجر الوفد وضرب للسلطان العثماني موعدا لن يخلفه بمصر ونعته بسلطان الحواتة فكانت نهايته على ذلك، بأن تم تجهيز خطة من بيلرباي حسن بن خير الدين وإرسال صالح كاهية مع نخبة قاموا بتمثيل الخطة المتفق عليها، انتهت باجتزاز رأس السلطان مُحَمَّد الشيخ السعدي في أكتوبر 1557م، لتصل العلاقات إلى تأزمها، مما جعل السلطان عبد الله الغالب السعدي يعمل على الثأر من العثمانيين قاتلي والده، الذين اخذوا رأس والده للجزائر ومنها إلى اسطنبول حيث علق إلى غاية توجه ابنه عبد المالك وإعادته إلى جسده الذي دفن بمراكش بدون رأس[3].

فقد قام السلطان الغالب السعدي (1557-1574م) بعدة محاولات أعيزت إلى التفاهم السعدي الاسباني للتخلص من العثمانيين بالجزائر فنفذ حملة في 1557م وأخرى في 1558م وثالثة في 1560م على اثر قيام

---

[1]. كريم، المغرب ...، المرجع السابق، ص 328-329.

[2]. حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج1، ص 47.

[3]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

اسبانيا بحملة على تونس التي انهزمت فيها فما كان على عبد الله الغالب سوى الانسحاب من تلمسان، كما سعى لتخلص من التهديد الجزائري بالأراضي المغربية، بمنحه حجر بادس التي سيطر عليها الجزائريون إلى الأسبان، ونجح في ذلك سنة 1564م وهذا قصد التخلص من الوجود العثماني بالأراضي المغربية ففضل إعطاءها لعدو الدين على بقائها في يد صاحب الدين، فلقي معارضة من علماء فاس على ذلك[1].

وفي عهد البيلرباي العلج علي الذي تدخل مباشرة في المغرب وحاول إخضاعها، فقد ناصر عبد الملك وأخيه أحمد، وإعادة عبد الملك لسدة الحكم بدل ابن أخيه مُحَمَّد المتوكل في 1576م، بقادة رمضان باشا (1549-1577م) ولكن بسبب موقف عبد المالك المتذبذب، وكذا أخيه من بعده في سنة 1578م الذي انتصر في معركة واد المخازن، التي قدمت فيها البحرية الجزائرية المساعدة لعبد المالك، ورغم عدم مشاركتها فعلا فإنها تمكنت من غنم عدة قطع برتغالية التي حاولت العودة، جعل العلج علي يحاول دخول المغرب كسنة 1582م، إلا أن الهدايا التي قدمها السلطان أحمد المنصور جعلت الخليفة العثماني يوجه أوامره للعلج علي بالعودة نحو المشرق، وإنهاء مهام جعفر باشا (1580-1582م) [2].

لقد تميزت العلاقات الجزائرية السعدية بنوع من الصدام الدائم بين الطرفين في محاولة رد التوسع السعدي على الغرب الجزائري، وهناك من يذهب أن الدولة العثمانية لم تقم بحملة على المغرب لضمها إليها لظهور الأشراف فيها، بدليل أن العلج على أثناء حملته عليها عندما انتهى الأمر للخليفة العثماني رده عن ذلك، كما أنها سعت في بقاء الأشراف ، فقد أعادت الأخوين عبد المالك وأحمد المنصور لسدة الحكم، واتسمت العلاقات في عهدهما بالسلم الحذر باعتبار وجودهما كان بفعل العثمانيين، وفي عهد السلطان أحمد المنصور 1578م-1603م فقد عمل على التخلص من السيطرة والهيمنة العثمانية بحنكته، بإرسال الهدايا والوفود إلى الجزائر والدولة العثمانية، فكانت العلاقات في عهده سلام حذر[3].

رغم وجود عدة فرص للتدخل في المغرب غير أن الدولة العثمانية لم تقم بضمها، خصوصا بعد وفاة السلطان المنصور تدخل البلاد في فوضى سياسية عارمة، انتهت بانقراض الدولة السعدية على يد العلويين، لتدخل العلاقات حلقة جديدة بين البلدين ، ونجمل القول كنظرة عامة على المغرب نهاية الأسرة السعدية كانت الخريطة الجغرافية والسياسية موزعة على عدة كيانات السلطان السعدي مُحَمَّد الشيخ الصغير انحصر نفوذه بمراكش وأطرافها،

---

[1]. حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج1، ص 47.

[2]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[3]. حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج1، ص 47.

الدلائيون بالمنطقة الوسطى، المجاهد العياشي بالسهول الشمالية والغربية على الأطلس، أبودميعة بسوس والجنوب المغربي، ثم العلويون بسجلماسة ودرعة[1].

تلك هي الخريطة السياسية للمغرب الأقصى في نهاية الحكم السعدي المتسم بصراع الإخوة على الحكم، مما سمح بتطاول بعض الزعامات الصوفية قصد الوثوب عليه بإنشاء إمارات مستقلة ومتناحرة فيما بينها، وساهم ذلك التناطح في فتح باب الاعتداء الأجنبي على السواحل وإعادة المغرب إلى ما كان عليه في بداية القرن 10هـ/16م، الذي انعكس على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، مما استدعي مرة أخرى البحث عن كيان سياسي جديد يعمل على إعادة توحيد البلاد مرة أخرى والقضاء على الفوضى الداخلية ومجابهة الخطر الخارجي، فحمل ذلك الأشراف العلويين من الجنوب بتافيلالت.

3.1. مع الأسرة العلوية:

1.3.1. الدولة العلوية:

2.3.1. التعريف بالشرفاء العلويين:

يجمع نسابة العرب والمغرب على أن نسب العلويين بالمغرب، صريح ومتصل برسول الله (ﷺ)، ومن أمتن الأنساب كما صرح به الضعيف[2] والزياني[3]، والناصري[4] ورفع الافراني عمود نسبهم أنهم من أبناء:" الشريف بن علي بن مُحَمَّد بن علي بن يوسف بن علي الملقب بالشريف ابن الحسن بن مُحَمَّد بن الحسن بن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي القاسم ابن الحسن ابن عبد الله ابن أبي مُحَمَّد ابن عرفة ابن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل ابن القاسم ابن مُحَمَّد المدعو النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب زوج فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)[5]."

فأصل سلفهم من ينبع النخل، التي استقر فيها عقب جدهم علي بن أبي طالب ﷺ والتي اقتطعها له النبي (ﷺ)، فكان أول من دخل منهم المغرب الحسن بن قاسم إلى سجلماسة التي كانت مركزا دينيا وملتقى إستراتيجي

---

[1]. كريم، المرجع السابق، ص 333.

[2]. مُحَمَّد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تح وتع: الأستاذ أحمد العماري، ط1، نشر دار المأثورات، الرباط 1406هـ/1986م، ص5.

[3]. أبو القاسم الزياني، البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول، تح: الأستاذ رشيد الزاوية، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1992، ص 29.

[4]. أحمد بن الناصري، كتاب الاستقصا، ج6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2001، ص 11.

[5]. الافراني، المصدر السابق، ص 409.

هام، ولقب باسم الحسن الداخل، وكان دخوله في أواخر ق 7هـ/13م وكان ابن الستين سنة وهناك من يقول أنه دخلها في 664هـ/1265م أي في العهد المريني في دولة أبي زكريا بن عبد الحق ووفاته في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق[1].

3.3.1. مراحل تأسيس دولتهم:

بسبب الوضع العام المتردي في نهاية العهد السعدي كما أشرنا إليه سابقا، والذي أرجع البلاد إلى مرحلة نهاية الوطاسيين وكأنما التاريخ تكرر بشخصيات وأحداث جديدة فقط والتي تنطلق مع مَحمد [2]بن الشريف العلوي، الذي تمكن من القضاء على السملاليين في تافيلالت ودرعة [3]، ووقف في وجه الدلائيين فقلص من نفوذهم جنوبي الأطلس قبل أن يفسح المجال لأخيه الرشيد [4]الذي سيقضي نهائيا على الإمارات الصوفية بالدلاء إيليغ وغيرهما ولتحل سنة 1081هـ/1670م فتشرق معها من جديد شمس الوحدة والطمأنينة على هذه البلاد[5].

كان دخول هؤلاء الأشراف لمعترك الحياة السياسية عن طريق الشريف بن علي [6]وابنه مَحمد بن الشريف الذي بايعه أهل سجلماسة أميرا عليهم لمقاومة أبودميعة عام 1050هـ/1640م، فانطلقت الصفحات الأولى من تاريخ العلويين، انتهت بإخراج أبودميعة من سجلماسة ودرعة أواخر 1051هـ/1641م[7]،كما واجه مَحمد بن الشريف المد الدلائي في 18 ربيع الأول 1056هـ/3ماي 1646م، الذي انتهى بإقامة صلح معهم ، وبانتشار صيته دعته فاس لنجدتها، بعد خلع فاس البالي سنة 1058هـ/1649م البيعة عن الدلائيين ومبايعته، لينقض ذلك الصلح، فدخلها في جمادي الثانية 1059هـ/1649م[8].

---

[1]. الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 13-14.

[2]. **السلطان مَحمد:** ابن الشريف، وهو أكبر إخوته، كان عالما مقداما، استقل بالأمر في حياة أبيه، وهو زارع نبتة الدولة العلوية، قتل على يد أخيه الرشيد في 1664م. (ينظر: العلامة مولاي إدريس الفضيلي، الدرر البهية في الجواهر النبوية مر: أحمد بن المهدي ومصطفى بن احمد العلويان، ج1، مطبعة فضالة، المحمدية 1999م ص186-187.

3. Terrasse, Histoire, Op.cit, T2, P 243-244.

[4]. **السلطان الرشيد:** ولد بسجلماسة في 1040هـ، تولى العرش في ربيع الأول 1075هـ/1664م، توفي بمراكش في 9 ذي الحجة 1082هـ/1672م. (ينظر: عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط 1937م، ص12.).

[5]. حجي، "ملامح عن المغرب..."، المقال السابق، ص 165.

[6]. الافراني، نزهة الحادي، ص 423.

7. Drague, Op.cit, T2, P80-81.

8. Terrasse, Histoire, Op.cit, T2, P 242.

لتعيد عليه الزاوية الدلائية الكرة وتخرجه منها على إثر هزيمته بدار الرمكة في 11 شعبان 1060هـ/8 أوت[1]، وعاد مَحمد بن الشريف لسجلماسة ودرعة ووجه نفوذه نحو الشرق قصد الوصول للمتوسط من أجل شراء الأسلحة، وعقد مع العثمانيين معاهدة الحدود عام 1064هـ/1654م جاعلة من واد تافنة حدا فاصلا بينهم[2].

وبوفاة الشريف بن علي في رمضان 1069هـ/جوان 1659م خرج ابنه الرشيد فارا من أخيه مَحمد لمنافسة كانت بينهما وانتقل الرشيد في جبال الأطلس الكبير والمتوسط [3]، ليتوجه نحو فاس ثم تازة وبنى بها قوته، وسارع أخوه مَحمد لمواجهة قوة أخيه المتنامية عند سهل أنكاد غربي وجدة، وسقط فيها مَحمد صريعا يوم الجمعة 9 محرم 1057هـ/1أوت1664م، لينضم جنده إلى الرشيد[4].

ليتوجه نحو تازة ثم فاس التي حاصرها ودخلها بالقوة [5]، فتمهدت له المدينة صبيحة الاثنين 1 ذي الحجة 1076هـ/ 3جوان 1666م واتخذ من فاس الجديد عاصمة له [6]، ليتوجه إلى بلاد الهبط ومنطقة السهول الأطلسية، ليتفرغ للدلائيين الذين طوقهم في الأطلس المتوسط بعزلهم دون الحيلولة إلى الموانئ الأطلسية حيث تجارة الأسلحة، ودخلها بدون قتال باستسلام مُحَمَّد الحاج وبقي بها من 8محرم إلى 22 صفر 1079هـ/17جوان-30 جويلية 1668م استولى على ما فيها من سلاح وخزائن، دواب ومواشي وأمرهم بالرحيل لفاس، وقام بتهديم المدينة[7].

ليميل على إمارة الشبانات بمراكش الذين تركوا له المدينة لما بلغهم من فتك بأهل الزاوية لينزل منها إلى السوس بعاصمتها إيليغ ويدخلها يوم الأحد 15 صفر 1081هـ/1670م، فعاد للمغرب وحدته بعد سبع سنوات من الحروب وهي المدة التي قضاها في الحكم، فحقق أمال الرعية في الوحدة [8]، وتوفي بمراكش ليلة الجمعة 10 ذي الحجة 1082هـ/21 مارس 1672م[9].

---

(1). مُحَمَّد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1992، ص105.

(2). الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 30-35.

3. Inconnu, Op.cit, P20-27.

4. Terrasse, Histoire, Op.cit, T2, P 244-245.

5. Caillé, Op.cit, 1er série, P 176-179.

(6). عبد الكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، تح: آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1992م، ص 131-132.

7. Berque, Op.cit,P94.

8. Terrasse, Histoire, Op.cit, T2, P247.

(9). الافراني، المصدر السابق، ص 428.

ليولى بعده خليفته على فاس إسماعيل [1]ليلة الأربعاء 16 ذي الحجة 1082هـ/ 27 مارس 1672م، التي بايعته، وعمره ست وعشرون سنة، في حين بايعت مراكش ابن أخيه أحمد بن محرز، الذي ثار عليه وقتله في أواسط ذي الحجة 1096هـ/نوفمبر 1685م، وتمكن من إعادة الهدوء للمغرب بل تعداها للسودان[2].

في عهد هذه الدولة تم فتح عدة ثغور مغربية مثل المهدية في 15 ربيع الثاني 1091هـ/4 ماي1681م، واسترد طنجة في 1 جمادي الأولى 1095هـ/16 افريل 1684م من يد الإنجليز [3]، و العرائش في 18 محرم1101هـ/31 أكتوبر 1689م[4]، وافتك أصيلا في 1102هـ/1690م من يد الأسبان وأمر بإسكان أهل الريف فيها كما فعل مع العرائش ونهى عن لبس النعال السود وأمر باستبدالها بالصفر إشارة إلى أهمية الفتح [5]، وفشل في استرجاع سبتة والبريجة من يد الأسبان لحصانتهما[6].

وقد استغنى السلطان إسماعيل عن خدمة القبائل التي كانت عادة ما تكون رأس الفتنة فجردها من السلاح، وعوضها بتأسيس جيش مسجل ومنظم عرف بجيش عبيد البخاري وجعل قصره مدرسة لتربيته وتدريبه، مع إنشاء شبكة من الحصون والقلاع في أنحاء المغرب، وخاصة قرب القبائل وشحنها بعدد من عبيد البخاري تلقى على كاهله مهمة حفظ الأمن بها، ومؤونة هذا الجيش المرابط من أعشار القبيلة التي ينزل عندها[7].

لتنقلب الوضعية بعد وفاة السلطان إسماعيل نتيجة تطورات سياسية متسارعة، وأحداث اجتماعية متداركة، مع أزمات اقتصادية خانقة، شبيه بتطورات الدولة السعدية بعد السلطان المنصور، فقد عاش المغرب ما بين 1139هـ-1727م حتى 1171هـ-1757م ثلاثين سنة من الاضطراب [8]، اعتلى فيها عدة مرات سبعة من الملوك الذين غدوا ألعوبة في يد الجيش العبيد تارة والقبائل تارة أخرى، وكانت فتنا يشيب لها الولدان كما عبر عنها المؤرخون.

---

[1]. **السلطان إسماعيل**: أبو النصر إسماعيل ابن الشريف، ولد بسوس 1065هـ أو 1058هـ، وهناك من رجح مولده بتافيلالت بويع له بعد أخيه الرشيد، توفي بمكناسة الزيتون في 28 رجب 1139هـ/مارس1727م. (ينظر: ابن زيدان، الدرر... المصدر السابق، ص29.).

[2]. الريفي، المصدر السابق، ص 141-143.

[3]. الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 86-92.

[4]. الافراني، المصدر السابق، ص 432-433.

[5]. الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 104.

[6]. الأخضر، المرجع السابق، ص 70.

7. Berque, Op.cit, P 94.

8. Chantal De La Véronne, Documents inédites sur l'histoire du Maroc (1726-1728), T1, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris 1975, P10-11.

4.3.1.سمات العلاقات السياسية الجزائرية مع الأسرة العلوية.

شهدت العلاقات في بداية ظهور العلويين تصاعدا في الأعمال اتجاه الجزائر، وهذا نتيجة أن الجزائر في عهد الباشوات شهدت في كثير من الأحيان ثورات للأهالي والجند بسبب سياسية هؤلاء الباشوات المبنية على المصلحة الخاصة، فاستغل هذا مُحَّد الشريف العلوي أثناء توسعه في المغرب الشرقي، فقام بحملة عدائية على بني سناسن وهدد تلمسان في 1654م وقضى الشتاء بوجدة لينتقل بعدها نحو عين ماضي والاغواط، فجهز يوسف باشا ، حملة ولكنه تمكن من الإفلات منها، فقام الباشا بإرسال وفد يتكون من اثنين من أعيان الجزائر وعلمائها مع كبيرين من رجال الديوان، حملوا رسالة كتبها أحد أعضاء الوفد الكاتب المحجوب الحضري لسجلماسة لعقد اتفاق وتم فيه ترسيم الحدود الغربية الشمالية مع هذه الأسرة الناشئة، وتعهد مُحَّد العلوي بعدم الاعتداء على ما وراء واد تافنة[1].

ليثبت هذا الاتفاق أخوه الرشيد (1664-1672م) مع الجزائر سنة 1665م، حتى يتمكن من تهدئة البلاد ففي 1667م دخل فاس، وكسر شوكة الدلائيين في 1668م ووجه علماءها نحو تلمسان، وهناك من يذهب لتبرير هذا الفعل من أجل إثارة الفتن فيها، واستدلوا بالفتنة التي كانت سنة 1669م، حتى أن الأغا علي (1664-1671م) لم يتمكن من قمعها، غير أن الرشيد العلوي لم يتدخل في تلمسان، لانشغاله بإخماد الثورات واستكمال سطوته على المغرب[2].

في حين خليفته السلطان إسماعيل (1672-1727م) شن حربا شعواء على الغرب الجزائري فكلما سنحت له الفرصة إلا واستغلها، ولكن كل حملاته تكسرت أمام دايات الجزائر وقوة الانكشارية، مستغلا في ذلك الفوضى السياسية التي أعقبت نهاية الاغاوات وبداية الدايات وكذا الفتن الداخلية للجزائر، ففي سنة 1671م قام بحملة على الغرب الجزائري ولكنه تصدت له القوة العثمانية بالجزائر مستعملة المدفعية، فأرجعته إلى حدود المغرب المتفق عليها مع أخويه، مما جعله يعترف بالمعاهدة السابقة مع الحاج مُحَّد باشا (1671-1682) [3].

كما عرف المغرب الأقصى في عهد هذا السلطان استقرارا سياسيا دام لمدة خمسين سنة تحت حكمه، لذا كان يعمد إلى استغلال كل فرصة تتاح له في غزو الجزائر، كحملة في عهد الحاج شعبان باشا (1688-1695م) التي تصدى لها الجند الانكشاري كالعادة، بدحره كل مرة إلى ما وراء واد ملوية، وعقدت معاهدة وجدة التي اعترف بها السلطان إسماعيل كحد فاصل بين البلدين، كما اتفق السلطان المغربي مع باي تونس مراد الثالث بإقامة حملة

---

[1]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[2]. الأخضر، المرجع السابق، ص 70.

[3]. الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 104.

مشتركة على شرق وغرب الجزائر، لكن الداي مصطفى باشا(1700-17056م) تصدى لهما، ودحرهما إلى حدودهما، وكانت ملاقاة الجيش الجزائري للمغربي على واد جديوية أحد فروع واد الشلف، أين هزم الجيش المغربي وتقهقر أمام ضربات الانكشارية إلى ما وراء واد ملوية، وفي 1703م أعاد الكرة وتم دحره أيضا من جديد عند ارزيو إلى ما وراء واد ملوية، لتصل درجة العداء أن السلطان المغربي فضل مصاهرة البلاط الفرنسي من أجل القضاء على الجزائر[1].

لتدخل العلاقات بين البلدين بعد هذا العاهل بنوع من الهدوء والسلام نتيجة ما شهده المغرب من حروب يشيب لها الولدان كما قال بعض المؤرخون، ليستقر الوضع في عهد السلطان مُحَمَّد بن عبد الله (1757-1790) وابنه سليمان(1797-1822م)، وسعيهما في محاولة مساعدة الدولة العثمانية، كما شهد عصرهما حركة إصلاحية ضد الطرقية، ولكن لم يكتب لها النجاح.

وفي ق19م شهد الغرب الجزائري ثورات قادها شيوخ الطرقية، التي ترتبط بأصولها بالمغرب الأقصى، كالقادرية التي هددت بايلك الغرب ليصل لهيبها إلى بايلك التيطري، مما جعل باي الغرب يكتب للسلطان سليمان العلوي بأن يأمر شيخ الطريقة العربي الدقاوي بوقف هذه الثورة التي باركها، وبحضور هذا الأخير ومشاهدة الأمر عن كثب تبرأ الشيخ من تلميذه، وما فتئت تنتهي حتى لهبت نار التيجانية التي ولدت بالمغرب الأقصى، وكانت وبالا في نهاية الدولة العثمانية بالجزائر، وعاملا في إضعاف سلطة البايلك بالغرب[2].

وبذلك فالعلاقات الجزائرية بالأسرة العلوية اتسمت في بداية قيام هذه الأسرة بالعداء خصوصا في عهد السلطان إسماعيل لتجنح نحو السلم والهدوء على خلفه، لتصل لحد التعاون والدعم ففي عهد مُحَمَّد بن عبد الله الذي قدم العون للدولة العثمانية بحد ذاتها في حروبها الأوروبية، في سنة 1795م سلم الجزائريون مدينة وجدة للمغرب في عهد الداي حسن باشا (1791-1798م)، وما قام به السلطان سليمان على اثر الطلب الذي وجهه إليه الداي الحاج علي باشا(1802-1815م) عن طريق ابن العنابي لطلب الدعم في تجديد جيشه وسفنه البحرية فأعطاه ثلاثة مراكب مع دعمه بمقدار من المال[3].

فمن خلال هذا العرض الوجيز فإن العلاقات بين البلدين اتسمت بين العداء والسلم والاتفاق حسب ما تستدعيه مصلحة كل طرف.

---

[1]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[2]. نفسه، ص 130.

[3]. الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 104.

رابعا. العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1519–1830م).

1. مساهمة الجزائر في انضمام تونس للدولة العثمانية: (1574م)

في نهاية القرن الخامس عشر في سنة 1494م تولى السلطان مُحَمَّد الحكم على تونس، وكانت الأمور قد مالت إلى الضعف، فلم يستطع هذا الأخير إعادة الأمور إلى ما كانت عليه في عهد أبي عمر بن عثمان(1435-1488م)، حيث أن بعض المناطق أعلنت استقلالها عن المملكة الحفصية مما أضعف إمكانياتها، كما أنها كانت تفتقر إلى جيش نظامي مكتفية فقط بالولاء القبلي وإتباع السيرة الحسنة، ولما آل الحكم إلى الملك أبي عبد الله مُحَمَّد لم يجد فرصة لسيطرة على هذه المناطق المتمردة [1]، ويقول ابن أبي دينار حتى القيروان ثارت وفشل في إخمادها ورجع منهزما من طرابلس وبجاية، كما صادف حكم هذا الأخير ظهور طلائع العثمانيين وعلى رأسهم الإخوة بربروس، وتزامن مع التكالب الاسباني على المنطقة الساحلية لبلاد المغرب، على اثر سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس، وفي هذا الوسط الداخلي الضعيف والخارجي المحدق بالخطر جعله يفكر في مورد مالي، فاستغل قدوم عروج والسماح له باستعمال أحد موانئه بمدينة جربة مقابل خمس الغنائم[2].

ويقول أحمد بن أبي الضياف في كتابه إتحاف أهل الزمان أن عروج وخير الدين بعد أن طاب لهما المقام عند الملك الحفصي مُحَمَّد بن الحسن واهتمامهما بالجهاد البحري، ونتيجة الضغط الاسباني في سواحل المغاربية، فقد قام أهل بجاية بالاستنجاد بهما، فلبيا طلبهم في رد العدو الاسباني وتوجها منها نحو جزائر بني مزغنة، وقد طلب الإخوة بربروس من السلطان مُحَمَّد بن الحسن إمدادهم بالبارود فتماطل خوفا على ملكه، وكان هذا عاملا من عوامل التوتر بين الطرفين، وساءت أكثر عندما تم ربط الجزائر بالدولة العثمانية بحيث تآمر ضده مع أمير إمارة كوكو ابن القاضي، وهو ما أدى إلى خروج خير الدين من مدينة الجزائر إلى جيجل ثانية سنة 1521م[3].

وبوفاة السلطان الحفصي عام 1526م قام خير الدين باستعادة مدينة الجزائر من ابن القاضي، ولما آل الحكم إلى الحسن لجأ أخوه الرشيد إلى الجزائر فانتهز خير الدين هذه الفرصة، وقام بتحضير حملة ضد الحسن في 1534م ودخلها بسهولة، وفر منها الحسن نحو البوادي بحثا عن مساعدة، وعوض أن يعلن الرشيد ملكا على تونس قام

---

(1) . حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس 1976، ص 149.

(2) . مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت 1993، ص 200-210.

(3) . احمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار. ج2. النشرة الثانية، دار التونسية للنشر، تونس 1977، ص 12.

خير الدين بربطها مباشرة بالدولة العثمانية، فتمكن الحسن من العودة إليها بمساعدة الأسبان في جويلية 1535م[1]، وخرج خير الدين منها متوجها نحو عنابة وقد كان هذا الأخير قد عين كقبطان باشا (أمير أمراء البحر) من طرف السلطان العثماني في 1533م[2].

وكانت موافقة ملك الاسباني شارل الخامس في مساعدة الحسن الحفصي قصد القضاء على العثمانيين في بلاد المغرب وعلى رأسهم خير الدين، لأن الوجود العثماني في تونس عبارة عن تهديد صريح لمملكته التي تضم جنوب ايطاليا وصقلية، إلى جانب أهمية الموقع الذي تحتله تونس والمشرف على الممر المتحكم في الضفة الشرقية والغربية للمتوسط، وقد دافع خير الدين ورجاله بكل شجاعة عليها إلا أن القوة الاسبانية قد تفوقت عليهم، وقد أباحها الحسن للأسبان ثلاثة أيام مات فيها الثلث وأسر الثلث ونجا الثلث، فالمأسور فديته بلغت من المال ألف دينار [3]، فملك الأسبان حلق الوادي وحصنوها تحصينا جيدا [4]، مع تبعية السلطان الحفصي إلى الملك الاسباني، وغيرها من الشروط المذلة التي قبلها الحسن بدون تردد، وهذا ما أدى إلى حدوث ثورات داخلية ضده مثل ثورة الشابيين التي كانت ما بين سنتي 1535-1542م[5]، وفي منستير وسوسة وسفاقس والمهدية بدعم من العثمانيين، فتابعهم الحسن وضيق على الشابية Chabbïa بالقيروان وحاول اخضاع المدن المنشقة عنه مدعما بالقوات الاسبانية المرابطة بتونس[6].

ولقوة تلك ثورات توجه إلى الاسبان من جديد لطلب الدعم لتثبيت حكمه، فاستغل أهل حاضرة تونس ذلك وقاموا باستدعاء ابنه أبي العباس احمد الذي كان واليا على بجاية، وعندما سمع السلطان الحسن بذلك سارع بطلب الدعم والعودة للقضاء على ذلك الانقلاب، ولكنه فشل مما أوقعه في أسر ابنه الذي قام بسمل عينيه[7].

وانطلق عهد السلطان أحمد (1542-1569م) من نقطة البداية بسبب إفلاس خزينة والده التي أنفقت على الجند الاسباني، ومما شاع عليه أنه كان يؤمن كثيرا بالمنجمين الذين تنبؤا له بأن رجلا من الأعلاج البيض واسمه

---

(1) . محمّد بن محمّد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحيقي محمّد الحبيب الهيلة، ط1، المجلد الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985، ص 225.

(2) . جوليان ، تاريخ إفريقيا ...، ج2، المرجع السابق. ص 330-331.

(3) . حسن حسني، خلاصة...، مرجع سابق، ص 152.

(4) . Mercier, Op.cit. T3, p37.

(5).De Disson, Op.cit. p111.

(6)Mercier, Op.cit. T3, p45.

(7) . أبي الضياف، إتحاف أهل...، ج2، المصدر السابق ، ص 13-16.

"علي" يقضي على حكمه، فقام بجعل حاشيته وحرسه الخاص من أهل السودان، وفي عهده عرفت مهدية غزوا من طرف نابولي وجنوة عام 1550م، وجربة التي أخذها منهم درغوث باشا وتوجه منها نحو طرابلس حيث شارك في فتحها سنة 1551م، ثم استدعاه أهل القيروان فاستجاب لهم وطرد منها مُحَمَّد بن الطيب الشابي وخلفه حيدر باشا عليها[1].

وفي ظل هذه التطورات اهتم السلطان العثماني بهذه المنطقة منذ جوان 1551م حتى افريل 1556م، بحيث قام الرايس درغوث على الجهة الشرقية من بلاد المغرب بجعل المهدية مقر قيادته، كما قام بضم جربة وقفصة وطرد الشابيين ودخل القيروان في جانفي 1558م، وحتى أن أبا العباس أحمد كان غير محبوب لدى السكان لبقاء الاسبان بتونس وكذا ثقل الضرائب المفروضة عليهم، مما جعلهم يتطلعون إلى حكم العثمانيين، ففي 1563م قامت هيئة تونسية بالتوجه إلى دار الخلافة الإسلامية باستانبول طالبة المساعدة منهم[2].

وفي هذه الأثناء كان الملك أبو العباس أحمد يفكر في مكيدة لوزيره الخضار ولكن هذا الأخير أحس بها فقام بالاتصال بالعلج علي باشا، الذي خرج إليها من الجزائر في 1565م، والتقى الجمعان في باجة فانهزم أبو العباس أحمد، وفر من تونس ليلا مع أهله محملا بما خف حمله وغلا ثمنه نحو حلق الوادي ومنها إلى مالطة، فأصبحت المدينة تونس مفتوحة أمام العلج علي باشا وجنده[3] فدخلها دون أي مقاومة في 1569م، بعد أن قام بإخضاع المدن الداخلية والساحلية واستخلف عليها القائد رمضان (1569-1571م) وكلفه بالمحافظة على الأمن، فربطت إدارتها بالجزائر وأصبحت تحكم على شكل سنجق، أما سوسة والقيروان ومناستر والمهدية فقد ربطت بطرابلس الغرب[4] كما أخذ علج علي من التونسيين البيعة للسلطان العثماني حيث دعي له في المنابر وضربت السكة باسمه[5].

ولكن بعد معركة ليبانت سنة 1571م التي انهزمت فيها القوات البحرية العثمانية [6]، قد حفزت الاسبان على شن حملة ضد تونس في 1573م، فاستولوا عليها بسبب وجود حامية عثمانية صغيرة بها، التي انسحبت باتجاه

---

(1) . أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء 1 ، النشرة الثانية، دار التونسية للنشر، تونس 1976، ص 244.

(2) . التر ، المرجع السابق، ص ص227 -237.

(3) . أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص 244.

(4) . التر ، المرجع السابق ، ص 229-237.

(5) . أبي الضياف، المصدر السابق ، ج2، ص 17-20.

(6) . مُحَمَّد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1981، ص 207.

الجنوب بقيادة رمضان باشا نحو القيروان، التي كان يحكمها حيدر باشا، فدخل الجيش الاسباني بقيادة ابن الملك خون دوتريش إلى تونس وفرض على أحمد بن الحسن شروط ثقيلة حيث طلب الملك شارل الخامس الاسباني من أحمد:

- استباحة المدينة للجيش الاسباني
- تبعية تونس لاسبانيا.
- السماح بالتبشير المسيحي
- بناء ما شاءت اسبانيا من الحصون

لكن السلطان احمد أبى ورفض في حين أخاه مُحَمَّد بن الحسن قبل بهذه المساومة، و دخل على رأس جيش من الأسبان نحو تونس التي عاث فيها الجند الاسباني فساد مدة من الزمن [1]، غير أن هذه المرة كان الرد الدولة العثمانية عنيفا بتوجيه ضربة قاضية إلى الا حتلال الاسباني في منطقة والمتحصن في حلق الوادي (La Goulette)، ففي 1574م وجهت حملة عسكرية لرد تونس تحت قيادة الوزير سنان باشا والقبطان علج علي إلى جانب مصطفى باشا طرابلس الغرب ورمضان باشا الجزائر [2]، وحيدر من جنوب تونس وبعد معركة عنيفة بين الطرفين انهزم فيها الأسبان وانضمت تونس مباشرة تحت لواء السيادة العثمانية[3].

فبعد جهد تمكن الوزير سنان باشا من تحرير تونس من الوجود الاسباني وتم أسر الأمير مُحَمَّد بن الحسن وحمله إلى القسطنطينية، وانتهت الدولة الحفصية في نفس السنة، وقام سنان باشا بتنظيم تونس ووضعها تحت إمرة حيدر باشا ويساعده كل من الداي كأمير على العسكر والباي لضبط الجباية وهيكلة استخلاصها، فعاد الوزير سنان وعلج علي إلى مقر الخلافة العثمانية[4].

2.العلاقات السياسية الجزائرية مع باشوات ودايات تونس:

بعد تخليص تونس من الأسبان سنة 1574م عمد سنان باشا إلى تهديم التحصينات الاسبانية، كما قام بتنظيم إدارة تونس وحكومتها، مع قوة عثمانية مقدرة بأربعة ألاف جندي، مقسمة على أربعين فرقة على رأس كل منها داي، وترأس حكم تونس شخص عرف باسم الباشا تابع إلى بيلرباي الجزائر، فكان أول حاكم فيها حيدر باشا

---

(1) . أبي الضياف، نفس المصدر، ج2، ص 21.

(2) . حسن حسني، مرجع سابق، ص 156.

(3) . أبي الضياف، المصدر السابق ، ج2، ص24.

(4) . نفسه ، ص 31.

عامل القيروان، وأقام الديوان وعين رمضان باي كقائد لجباية الضرائب، وحدد الرتب والرواتب وغيرها من الشؤون الإدارية، وأعطى التسيير العام للباشا وحده [1]، الذي استبد بالحكم، مما جعل تونس تدخل في فتنة سياسية في 1591م، حيث انقلب الجند على ضباطهم، ونصبوا دايا على الحكم، فأصبح الآمر الناهي فيها من جديد، لتنتهي تلك المعانات بتحول السلطة من يد الداي إلي يد الباي وتمكن البايات من الهيمنة على الحكم من ق17حتى 19م، وتجلي في أسرتين المرادية والحسينية.

فيكون بذلك القائد سنان باشا قد وضع الأسس الأولى لتنظيم إدارة هذا الإقليم بعد فتحه في سنة 1574م وانتهى فيها عهد الحفصيين، وارتبطت تونس في البداية مع الجزائر واعتبرت تونس باكوية تابعة إلى الجزائر حتى قامت حاميتها في 1590م[2] بالانفصال عن الجزائر وحاولت أن تقلد أوجاق الجزائر، بتنصيب أحد رجال العسكريين منهم كحاكم لقبوه باسم الداي ويتولي رئاسة تونس، ووافقت عليه الخلافة العثمانية منذ 1590م[3].

وفي ظل هذا الوضع زادت سلطة البكوات فسيطروا على نظام الحكم وتولوا السلطة باسم الباي وعملوا على توريث هذا المنصب إلى خلفهم، كما أنهم لم يهتموا بالجهاد البحري[4]

وبذلك قضى البايات على حكم الدايات وهذا ما جعل تونس في عهدهم كمركز تجاري هام، تأتي إليها القوافل محملة بالمنتجات الإفريقية السوداء، وتقوم بتوزيعها على التجار الأجانب، كما أن تونس تعتبر حلقة اتصال هامة تقع على طريق القوافل الرابط بين الأقاليم المغاربية الجزائر والمغرب الأقصى من جهة و طرابلس ومصر والمشرق من جهة أخرى[5].

3. مع الأسرة المرادية (1613-1702م)

1.3. الأسرة المرادية:

أسسها مراد الأول من أصل كورسيكي، وقع في قبضة غزاة البحر، انتهى أمره إلى الباي رمضان الذي اسلم على يديه، وتربي في بيته وترعرع فيه، واظهر مراد نجابة وفطنة مع حسن تصرف جعلت يوسف داي (1610-1637م) يختاره كباي بعد رمضان باي (1593-1621م)، فعمل على تحويل السلطة من الدايات إلى

---

(1) . أندري بايسونال، الرحلة إلى تونس (1724)، ترجمة وتحقيق مُحَّد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس 2004، ص 53.

(2) . التجومي الهادي، تاريخ تونس الاجتماعي 1881-1956، ط 2، نشر دار مُحَّد علي الحامي، تونس 2001، ص 15.

(3) . جوليان ، المرجع السابق ، ج2، ص 356.

(4). De Disson, Op.cit. p111.

(5) . جلال، المرجع السابق ، ص ص 54-55.

البايات، التي حققها ابنه حمودة باشا فيما بعد، وبذلك يصبح هذا المنصب متوارث في هذا البيت إلى غاية 1702م[1].

ففي منتصف القرن السابع عشر تمكن أحد البايات أن يخضع حكومة الداي بتونس لنفوذه الشخصي، بل وحتى توريث منصب الباي لأبنائه فتكونت أسرة حاكمة في تونس تعرف باسم الأسرة المرادية [2] وسيطرت على البلاد إلى غاية 1702م[3]، فكان تحت تصرف البايات قوة عسكرية مشكلة للمحلة، معتمدة على السكان المحليين، وهذا لتقوية نفوذهم في منافسة الأنظمة العثمانية التقليدية من باشاوات ودايات وفرض أنفسهم عليها شيئا فشيئا، في السيطرة على تسيير مقاليد الحكم، خصوصا بعد إخضاع بعض القبائل الثائرة وتنظيمها تحت غطاء عسكري في شكل جيش مركب من السكان تحت اسم زواوة كمشاة، وصبايحية كفرسان، وقبائل مخزنية، وكانت هذه القوى العسكرية خارجة عن يد الداي وديوانه تابعة إلى الباي مباشرة[4].

كما قام الباي حمودة باشا المرادي بإنشاء قصره في الباردو، فجعله ذلك بعيدا عن أنظار ومراقبة الداي والإنكشارية، وأحاط نفسه بأعيان وعسكر من السكان المحليين، وهو الأمر الذي جعل الداي يفقد منصبه في الحكم، فأصبح تعيين الدايات يتم بمباركة البايات منذ 1655م، فمراد الثاني بن حمودة وصل إلى إقالة الدايات من مناصبهم سنة1673م، وهي صورة لسيطرة البايات المراديين على نظام الحكم، غير أن تونس بعد 1675م على إثر وفاة مراد الثاني، دخلت في فترة من الحروب بين أفراد الأسرة المرادية حول السلطة وانتهت باعتلاء مراد الثالث للسلطة سنة 1699م الذي كانت نهايته على يد إبراهيم الشريف في 1702م[5].

2.3. طبيعة العلاقات الجزائرية مع الأسرة المرادية:

تميزت العلاقات الجزائرية التونسية خلال هذه الأسرة بتدخل الجزائر من اجل فك النزاع الذي احتدم بين أفراد البيت المرادي الذي اخذ بتونس نحو الهاوية، وقد استفادت الجزائر من ذلك أولا بالحصول على الأموال وثانيا إقرار تواجدها ونفوذها بتونس، ما جعل البايات يعملون على تخليص رقابهم من قبضة الجزائر كلما سنحت لهم

---

(1) . محمد الهادي الشريف ، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس (من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال)، تعريب : محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس 1993، ص 78.

(2) . نفسه، ص 78.

(3) . حسن حسني، مرجع سابق، ص 167.

(4) . محمد الهادي الشريف ، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس (من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال)، تعريب : محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس 1993، ص 78.

(5) . الهادي الشريف ، تاريخ تونس...، ص 80.

الفرصة[1]، وهو الأمر الذي سعت الجزائر على تفاديه بتقريب المناوئين للبايات أو الحكام بتونس، وهذا ما يظهر من خلال هذا العرض التاريخي الوجيز.

وبتولي مراد باي (1613-1631م) الجباية بتونس في عهد الداي يوسف، فقد أظهر مقدرة وكفاءة مع حنكة، خصوصا عند تأزم العلاقات الجزائرية التونسية أثناء رسم الحدود بينهما سنة 1614م، نتيجة اشتباك القبائل الحدودية فيما بينها، أدت إلى نفرة بين الايالتين وصلت لحد الصدام في 1628م والمواجهة المسلحة، بسبب دخول قبائل تونسية للأراضي الجزائرية تهربا من الضرائب، مما جعل الحكومة التونسية تبني نقطة عسكرية بقلعة النوبة عند مجرى واد السراط، فرأت فيه الجزائر تهديدا لها، مما جعلتها توجه إنذار لتونس وتطالبها بتهديمه، ولكن بعد تماطلهم دخلوا في مواجهة عسكرية كانت في البداية على الجزائريين إلا أن انقلاب بعض القبائل التونسية كبني سعيد لصف الجزائر قلب الكفة لصالحها في معركة سطارة يوم 17 ماي 1628م، مما جعل تونسيون يطلبون الصلح[2].

وقد سعى مراد باي جاهدا على حل هذه الأزمة وبسرعة باقتراح تفاهم مع الجزائر بدفع تكاليف الحرب لوقف النزاع بدل إطالته، بإيفاد وفد ضم الشيخ مصطفى والشيخ إبراهيم الغرياني وفاوضا على ضرورة بقاء واد مجرى واد السراط كحد فاصل بين الايالتين، مع تهديم قلعة النوبة المسببة للحرب وأن يضل رسم الحدود بين البلدين من ناحية القبلة على ما كان عليه من قبل من "واد ملاق" إلى النقطة المعروفة بـ"الأحيرش" نحو "قلوب الثيران" ومنها "لجبل الحفا" نحو البحر والنقطة الرابعة المتعلقة برعايا الايالتين، فإن أي قبيلة تنزح لأي منهما فخراجها لها، بدون أن تتم المطالبة به الايالة القديمة[3].

إلا أن الحضور الجزائر كان قويا في تونس في عهد حفدة هذا الأخير فبعده تولى ابنه مُحَمَّد المعروف بحمودة باشا (1631-1666م) الذي تنازل عن البايوية لابنه مراد الثاني (1663-1675م)، هذا الأخير الذي تقاسم أبناؤه من بعده هذا المنصب فيما بينهم وهم مُحَمَّد وعلي ورمضان فكانت الفترة ما بين 1675-1686م مرحلة فتن بتونس استغلتها الجزائر كطرف مصلح بينهم سنة 1680م، وقد استجاب كل من مُحَمَّد وعلي لهذه الوساطة بتقسيم تونس بينهما شمالا لعلي باي وعاصمته تونس وجنوبا لمحمد باي وعاصمته القيروان، في حين تبقى القيادة العليا لتونس بيد علي باي، وبعقد هذا الصلح عاد الجيش للجزائر[4].

---

[1]. ابن ابي الضياف، مصدر سابق، ج3، ص 80.

[2]. بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[3]. حسن حسني، مرجع سابق، ص 167.

[4]. الهادي الشريف ، تاريخ تونس...، ص 80.

ولكن هذا الصلح ما لبث أن نقض في سنة 1683م بإشعال حرب جديدة بين الأخوين، أدت لظهور طرف ثالث مناهض لهما ومثله الداي أحمد شلبي، ما جعل الأخوين يتحدان ضده ويستنجدا بالجزائر في 1685م فقام الداي إبراهيم خوجة مع باي قسنطينة عبد الرحمن من دخول الكاف ثم باجة نحو تونس في 1686م، للقضاء على الفتنة فتم اغتيال علي باي من طرف الانكشارية، وبويع لمحمد باي على تونس في 10 مارس 1686م، وبتامين داي إبراهيم على باي تونس أفل راجعا نحو الجزائر، ومنح الداي هدايا ثمينة من عند الباي الذي تعهد بدفع ضريبة سنوية وهدايا لرجال الدولة الجزائرية، وكان هذا أهم بند تستند عليه الجزائر في التدخل في الشؤون الايالة التونسية[1].

فكان هذا الالتزام سببا في حرب 1693م بين البلدين، نتيجة عدم دفع مُحَمَّد باي ما عليه من ضرائب، فاستغل ابن شكر صهره هذه الفرصة واتصل بالداي شعبان (1688-1695م) الذي تعهد له بتقديم كل المخلفات، فتقدم الجيش الجزائري المدعوم بالجيش الطرابلسي في جوان 1694م لينهزم مُحَمَّد باي في جويلية في معركة حاسمة خذلته فيها الأعراب، ليتحصن بتونس ويفر منها في نوفمبر 1694م متوجها نحو الجنوب، وتم تنصيب ابن شكر مع إعطاء الجزائريين الأمان للمدينة[2].

دفع ابن شكر خمسمائة ألف قرش كمقابل لدعمه، وفيها مائة ألف كهدية خاصة لداي وأربعمائة ألف لخزينة الاوجاق، وحتى يقوم مُحَمَّد بن شكر بجمعه صادر أموال الناس وفرض الضرائب على المهن والحرف، فعاد الداي شعبان في 17 جانفي 1695م للجزائر معبأ بالهدايا والمال، إلا أن مُحَمَّد باي عاد لتونس في ماي من نفس السنة، وفر ابن شكر نحو المغرب الأقصى، ليقوم مُحَمَّد باي بإرسال وفد للجزائر بقيادة إمام الزيتونة الغيث البكري والمفتي مُحَمَّد فتاتة وكاتب الديوان مُحَمَّد خوجة، ولكن رفض الداي شعبان شروط الوفد، في حين قبلها خلفه الداي أحمد العقبي (1695-1398م) فأبرم الصلح بينهما، على ما كان للجزائر سابقا من ضريبة والهدايا، لتجنح العلاقات للسلم إلى غاية مراد الثالث (1699-1702م) [3].

الذي عرف بنزواته المتطرفة من ظلم وغطرسة فبعد مبايعته بايا عقد جلسة طارئة للديوان لإعلان الحرب ضد الجزائر للحد من التدخل الداخلي في شؤون تونس وأيضا لحقده الدفين على أتراك الجزائر، ليعمق عداءه الصريح مع الجزائر باتفاقه مع السلطان المغربي إسماعيل في 1700م بإيجاد عملية عسكرية منسقة بينهما على الشرق

---

(1). De Disson, Op.cit. p111.

(2). بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

(3) . الفونص روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، نقلها عن الفرنسية الد. مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، ط1،منشورات جامعة قارنوس، بنغازي 1992، ص 165.

والغرب، وتمكن باي مراد من هزم باي قسنطينة إلا أنه انهزم في معركة جوامع العلماء في 30 أكتوبر، فلم ينجيه سوى الفرار بفرسه المعروف بسرعته الذي سقط صريعا بعد جهد من تحت سيده بتونس[1].

وفي 1701م أرسل باي تونس وفدا لتجنيد من أراضي الدولة العثمانية بقيادة الشريف إبراهيم، وتزامن وصوله مع وفد جزائري جمع بينهما السلطان مصطفى الثاني (1664-1702م) وطلب منهما بالعودة بفرمانات لتناسي الأحقاد وإبرام الصلح، لتعود سفن مراد الثالث في جويلية 1701م محملة بألف مجند، ليعيد بها الكرة على الجزائر غير مبالي بأوامر السلطان العثماني في ماي 1702 حاول مرة أخرى[2].

ولكن هذه المرة يتم قتله من طرف كاهية جنده إبراهيم الشريف في جوان 1702م بباجة، واعتلى الحكم واتفق مع الجزائر على دفع ضريبة سنوية وإرسال الهدايا، وفي 1705 حنث بوعده فطالبه الداي مصطفى بما عليه (150 ألف ريال وتقديم 1000جمل) فرفض، فاندلعت الحرب في معركة بالكاف أسر فيها إبراهيم الشريف في 1705/7/11م وتم تنصيب كاهيته حسين بن علي في ديوان تونس بايا جديدا.

وبذلك ارتبطت العلاقات بين البلدين حول سير الأحداث بتونس، مع اعتبار أن الجزائر هي الراعي والحامي لحاكم تونس في كل مرة، وهذا ما تدعمه الجزائر في علاقاتها مع الأسرة الحسينية التي تنطلق في تونس بنهاية إبراهيم الشريف في 1705م[3].

4. مع الأسرة الحسينية (1705-1830م)

بعد التدخل الجزائري في القضاء على فتنة إبراهيم الشريف تم تنصيب حسين بن علي تركي كباي على تونس، لذا نجد العلاقات بين أفراد هذه الأسرة والجزائر مرت بعدة أطوار في معظمها كانت الجزائر هي التي تفرض منطقها بفعل القوة، مع استغلال الخلاف العائلي حول منصب الباي، إلا أنه في المرحلة الثانية فقد عملت تونس على تخليص رقبتها من تلك الالتزامات التي رأى فيها بايات تونس نوع من الإذلال لشخصهم واحتقار لمكانتهم، ويهز عرشهم وكيانهم، وتمكنوا من التخلص منها، لذا فقد ساد العلاقات فترات حرب وأخرى سلم وبعضها ترقب وحذر وهذا ما نعمد على إيجازه في هذا الملخص:

1.4. الأسرة الحسينية:

أسسها حسين بن علي تركي وهو من ابن علج يوناني انخرط في صفوف الانكشارية في عهد الأسرة المرادية، وقد امتاز بحسن السيرة مع رجاحة العقل، وقد تقلد عدة مناصب إدارية كمنصب خزندار، كاهية، ومشرف على دار

([1]). De Disson, Op.cit. p111.

([2]). بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 126.

([3]) . روسو، المصدر السابق، ص 165.

الجلد ثم أغا الصبايحية الترك، ليتولى البايوية بتونس ، فبسقوط ابراهيم الشريف أمام ضربات الجند الجزائري في 1705م حيث أسر، اعتلى عرش تونس حسين بن علي الذي كان كاهية إبراهيم الشريف، وبالموازاة اختارت الإنكشارية مُحَمَّد خوجة الأصفر دايا، وبعد صد الهجمة الجزائرية التي تراجعت في أكتوبر 1705م، والتي أعطت مكانة للحسين بن علي، الذي عمل على التخلص من الداي الأصفر ومن إبراهيم الشريف الذي أطلق من أسره ليثير الفتنة داخل البلاد [1] بإيعاز من داي الجزائر حسين خوجة وذلك مقابل دفع فدية قدرها 150 ألف قرش فيما بعد[2].

وحتى يفوت الفرصة على معارضيه قام الحسين بن علي بالاتصال باسطنبول للحصول على فرمان التولية وكان له ذلك في جوان 1706م، فجمع الباي السلطة بين يديه، في ظل تراجع دور الإنكشارية وعددها وتراجع أهمية الداي والديوان وإخضاع رجال الدين تحت السلطة عن طريق الألقاب الشرفية وغيرها من الإغراءات [3]، فقضى حسين بن علي على نظام الدايات ووضع الأسس لأسرته الحاكمة في تونس والتي امتدت من سنة 1705م حتى إعلان الجمهورية سنة 1957م[4] كما استعان بالأعيان وأصحاب المال فأشركهم في استغلال الموارد الاقتصادية للبلاد فظهرت عائلات من اللزامة توارثت هذا المنصب، وأسر من الوكلاء يديرون أملاك البايلك، أما في البوادي فقد استخدم قبائل المخزن مثل قبيلة دريد وجعل من رؤسائها مستشارين ومقربين له[5].

وقد ظهرت خلافات في عهده حول توريث الحكم بين البيت الحاكم، فثار ضده ابن أخيه علي باشا في 1728م مستعينا في ذلك بالقبائل والطوائف التي كان النظام لا يحسن إليها مثل سكان جبل وسلاتة وأولاد عيار وغيرهم ولكنه فشل في محاولته مما أعاد قبضة الحكم من جديد إلى حسين باي وفرار علي باشا إلى الجزائر[6].

وسجن فيها مقابل دفع تونس سنويا عشرة ألاف ريال بندقي للخزينة الجزائرية، لكن الحسين بن علي أوقفها فقامت الجزائر بإطلاق سراح علي باشا في1735م ودخل تونس بمناصرة الجزائر تحت شروط مغرية ونصب بايا عليها وهذا ما أدخل البلاد في حرب لمدة خمس سنوات أخرى بين علي باشا وعمه وقد أثر هذا الصراع على السلطة في الوضع العام للايالة التونسية في جانبه الاقتصادي والاجتماعي، حيث تم تقسيم البلاد إلى قسمين:

([1]) . حسن حسني، مرجع سابق، ص 175.

([2]) . روسو، المصدر السابق ، ص 165.

([3]) . الهادي الشريف، المرجع السابق ، ص 82.

([4]) . العقاد، المرجع السابق ، ص ص 30-31.

([5]) . الهادي الشريف، المرجع السابق ، ص 83.

([6]) . Mercier, Op.cit. T3, p347.

حسينية وهم الموالون لحسين بن علي ومنهم: القيروان، سوسة، المنستير، المهدية، صفاقس و قرى الساحل، أما من العربان: فقبائل دريد، جلاص، أولاد عوف، أولاد سعيد والهمامة، أما القسم الثاني المعروف بالباشية ومنهم: مساكن، القلعة الصغرى، زاوية سوسة، جبل وسلات، قبائل ماجر، الفراشيش، أولاد عيار وغيرهم[1].

وكانت نهاية هذا الصراع في 1740م بانتصار علي باشا وابنه يونس على حسين بن علي وقطع رأسه، مما اضطر أبناء المقتول لتوجه إلى الجزائر وشكلوا ورقة ضغط جديدة على بايات تونس [2]، وهو ما جعل علي باشا يبقي دائما مواليا لداي الجزائر[3] علاوة على دفع إتاوة سنوية مقدرة بـ 50 ألف قرش عثماني[4].

وفي سنة 1745م تدهورت العلاقات بين تونس والجزائر على إثر اللهجة الآمرة التي كان يتوجه بها الدايات الجزائريون إلى علي باشا في مطالبته بدفع ما عليه من إتاوة وبرفضه، تحركت القوات الجزائرية نحو تونس سنة 1746م ولكنها انهزمت في الكاف لتعود بعد عشر سنين لتدخل مدينة تونس وتنصب أبناء حسين بن علي وهما مُحَمَّد وعلي في سبتمبر 1756م، فدخلت تونس تحت طاعة الجزائر لمدة خمسين سنة بتنفيذ الأوامر ودفع الضريبة، وعرفت تونس فترة من الاستقرار [5]، وهذا بعد اتفاق الذي تم بين الطرفين على دفع إتاوة سنوية في شكل شحنتين كبيرتين من الزيت لاوجاق الجزائر مع تدمير الحصون الحدودية [6]، وهو ما جعل تونس تنتعش في فترة حكم علي باي الحسيني من خلال إقامة علاقات تجارية خارجية مع كل من فرنسا وانجلترا لتعود إلى سابق عهدها[7]، وبقيت تونس تدفع الجزية للجزائر إلى غاية اندلاع الحرب بين الايالتين ما بين 1806م-1807م في عهد حمودة باشا (1782-1814م)[8].

لتدخل تونس في عهد حكم حمودة باشا إلى نوع من لارتقاء والازدهار و يرجع هذا إلى الظروف التي ورثها، وإلى شخصية هذا الأخير، الذي اتبع سياسة وفرت الأمن والهدوء داخل البلاد بالتحالف والاشتراك مع الأعيان من السكان، واعتدال النظام الجبائي الداخلي بفضل تضاعف الدخل الخارجي من جهاد بحري وتجارة خارجية[9]، غير

([1]) . روسو، الحوليات...، ص 183.

([2]) . الهادي الشريف، المرجع السابق ، ص 84.

([3]) . Mercier, Op.cit. T3,p365.

([4]) . روسو، مرجع سابق، ص 181.

([5]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص86.

([6]) . روسو، مرجع سابق، ص 216.

([7]) . Mercier, Op.cit. T3,p387.

([8]) . مُحَمَّد بيرم الخامس ، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، ج2، ط1، المطبعة الإعلامية، مصر 1302هـ، ص 2.

([9]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 88.

أن هذا الوضع تغير بعده ودخلت تونس في عدة مشاكل اقتصادية أهمها الأزمة المالية التي فتحت الباب أمام التدخل الخارجي في المنطقة ورغم محاولة بعض البايات الحسينين مثل حسين باي الذي تولى الحكم في 1824م إدخال تونس في طريق التقدم وقد قام بتنظيم الجيش على الطريقة الأوروبية وحتى احمد باي الذي تولى في 1837م حاول إدخال إصلاحات [1]، إلا إن الوضع كان أكثر صعوبة من طموحات البايات فوقعت تحت الحماية الفرنسية سنة 1881م[2].

2.4. طبيعة العلاقات بين الجزائر والاسرة الحسينية:

وباعتلاء حسين بن علي حكم تونس، كان الجيش الجزائري لا يزال يرابط بالأراضي التونسية، وهو الأمر الذي لم يتقبله الباي الجديد مما أوجد صراع بينه وبين قائد المحلة الجزائرية الداي مصطفى، انتهى بصدام تصدت فيه تونس للجيش الجزائري الذي انهزم أمام أسوارها، فعاد الداي مصطفي للجزائر في سبتمبر 1705 وكله عزيمة بالعودة إليها ولو بعد حين، وإلا أن الباي قام بتقديم هدايا لداي الجزائر وحكومته، ما جعل العلاقات بين البلدين تهدأ وتجنح إلى السلم، بدون أن ترقى إلى التعاون.

ورغم ذلك فدايات الجزائر لن يفوتوا أي فرصة سانحة للعودة إليها، وجاءت الفرصة بعد أن ظهر الصراع في البيت الحسيني بين باي حسين بن علي وابن أخيه علي باشا الذي أزيح عن ولاية العهد للبايوية في 1728م، الأمر الذي فتح باب التدخل الخارجي من جديد على يد الجزائر[3]، التي التجأ إليها علي باشا طلبا للدعم، فسعى باي تونس جاهدا لقتل ابن أخيه في الجزائر لكن بدون جدوى، فاضطر لشراء بقائه في الحكم بالمال بدفعه لدايات الجزائر مبلغ سنوي مقدر بـ 10 ألاف ريال مقابل إبقاء ابن أخيه في السجن الجزائري[4].

ولكن في عهد الداي إبراهيم (1732-1745م) توقف في دفعها سنة 1735م، مع تقديم شحنة حبوب لعدوة الجزائر اللدود اسبانيا، فكان ذلك سببا في إعادة تنصيب علي باشا حاكما على تونس وقتل حسين بن علي، بعد معركة سمنجة في 1735/9/4م وفرا ابنا الباي المقتول مُحَّد وعلي للجزائر ليكونا بدورهما ورقة ضغط على علي باشا، وتعود الحملة محملة بالمال جزيل كتعويض عن الحرب مع فرض إتاوة سنوية مقدرة بـ 50 ألف قرش عثماني،

([1]) . De Bisson, Op.cit. p 111.

([2]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص86.

([3]) . Mercier, Op.cit. T3,p365.

([4]) . روسو، الحوليات...، ص 183.

لتعود العلاقات إلى صفائها رغم تكدرها أحيانا بسبب سياسة علي باشا المتميزة بالتذبذب خصوصا في دفع ما عليه من الالتزامات[1].

وهذا ما كان في عهد مُحَمَّد باكير (1748-1754م) الذي ساءت علاقاته فيها مع باي تونس، وأدت إلى توجيه حملة في 1746م لتنصيب أبناء حسين بن علي ولكنها انكسرت في الكاف، ليعود علي باشا ويدفع ما عليه لتتحسن العلاقات من جديد، ونتيجة لتماطل باي تونس في دفع ما عليه، مع تطاوله في محاولة التدخل في الشأن الداخلي للجزائر بتحريض خزناجي الداي، الذي سيروح ضحية القتل مع الداي في سبتمبر 1754م، ويتم تولية الداي النقسيس (54-1766م)[2].

هذا الأخير الذي سيتدخل كثيرا في الشؤون الداخلية التونسية، لإحساسه أن بايها أصبح على درجة من القوة، كما انتقلت قبيلة حدودية جزائرية إلى تونس، فطالبتها الجزائر بدفع مبلغ كبير الذي رفضه باي تونس، فكان إعلان عن بداية الحرب من جديد، فقام علي باي بتحصين الكاف وأمر برحيل جميع سكان الذين يعيشون على خط مرور المحلة الجزائرية كباجة وغيرها، وبالجزائر استعد الأخوان مُحَمَّد وعلي ابنا حسين بن علي، وتوجها مع الحملة الجزائرية بقيادة الباي حسن زرق عينو، ودخلت تلك القوات مدينة تونس في 1756/8/31م بعد محاصرتها، ونصب الأخوان وتم قتل علي باشا وابنه، وفرضت الجزائر على الأخوين عدة شروط منها:

- دفع مبالغ مالية سنوية.
- تحديد الجيش.
- التبعية للجزائر.
- دفع تكاليف الحرب.
- عدم إقامة الحصون.
- تنكيس العلم والرايات التونسية.
- تقديم هدايا للقائد الحملة حسن زرق عينو[3].

وبعد كل تلك الشروط المخزية للجانب التونسي، عاد قائد الحملة حسن زرق عينو محمل بمال جزيل، فأخذ مال علي باشا وأبناؤه وأثرياء تونس كغنيمة حرب، وقدر ما حمله للجزائر بـ 9 مليون فرنك، وألفين من الأسرى

([1]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص86.

([2]) . روسو، الحوليات...، ص 183.

([3]) . ابن ابي الضياف، مصدر سابق، ج4، ص 80.

المسيحيين[1]. وبعبارة أخرى أصبحت تونس بذلك منطقة تابعة مباشرة لدايات الجزائر، نتيجة تكبيلها بتلك الشروط، ومنه ما التطورات التي نتجت عن هذا الوضع في العلاقات السياسية بين البلدين؟

بعد أن اطمأن دايات الجزائر على استتباب الأمن بتونس وإنها وافقت على شروطها، على اثر حملتهم في 1756م، تركوها لأهلها وعادوا إلى الجزائر محملين ومثقلين بالمال الجزيل كما قلنا، ففي عهد كل من الباي مُحَمَّد (1756-1759م) والباي علي (1759-1782م) وابنه حمودة باشا فمن سنة 1756 إلى غاية 1806م رضخت تونس للجزائر، وظلت وفية لها وارتبط موقفها السياسي بموقف الجزائر[2].

فعرفت تونس في هذه الفترة السلمية رخاء اقتصاديا وبناءا لقوتها العسكرية البرية والبحرية، كما عملت على عدم رفض أي طلب للجزائر مهما كان، فاستغلت الجزائر ذلك بإرسال الوفود والرسل التي كان على الباي إكرامها ومنحها العطايا والمال، حتى وصلت الدرجة لإرسال حيوانات جزائرية تباع في أسواق تونسية بالسعر الجزائري، وقبل التجارة التونسية وفي حالة نفوق إحداها تعوض ماليا[3].

ومن جانب آخر عمل باي حمودة باشا (1782-1814م) على استكمال قوته دون إشعار الجزائريين بكل سرية وهدوء، رغم توتر العلاقات مرتين في سنة 1783م بسبب قبيلة تونسية انتقلت للجزائر، فدفع عنها 25 ألف ريال في جوان 1784م تجنبا للصدام، وفي 1787م حدث العكس، فاستغل حمودة باشا الظروف الداخلية للجزائر والدولية لتحسين تونس دفاعيا برفع عدد الجند وإقامة التحصينات وشراء قطع سفن وعتاد حربي والاعتماد على الخبرة الفرنسية، بدون إثارة للشكوك حوله[4].

فعندما أحس باستكمال قوته ضرب تلك الشروط السابقة التي فرضت على عمه وأبيه سنة 1756م عرض الحائط، وكانت القطرة التي أفاضت الكأس بين البلدين إقدام حمودة باشا على تأديب رعايا جزائريين امتهنوا تجارة القوافل، وبسبب سوء تصرفاتهم أدبوا، فاعتبرت الجزائر ذلك إهانة لها فأعلنت الحرب على الفور، فأمر باي تونس الجزائريين بالرحيل عنها في 1806م، لتوجه الجزائر بحملة بحرية على حلق الواد لإرهابه، قام على إثرها باي تونس بتوجه حملة نحو قسنطينة في جانفي 1807م[5].

([1]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص86.

([2]) . Mercier, Op.cit. T3,p365.

([3]) . روسو، الحوليات...، ص 183.

([4]) . ابن ابي الضياف، مصدر سابق، ج5، ص 30.

([5]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص86.

بتعداد خمسين ألف جندي بقيادة سليمان كاهية، الذي هزم باي قسنطينة حسن باي وتوجه لحصار دار بايلكه التي صمدت أمامه حتى جاءها المدد من الجزائر، وانتهت بهزيمة الجيش التونسي الذي لحق به الجيش الجزائري، ليصطدم بحملة ثانية من تونس في الكاف أعدها حمودة باشا تحت قيادة الوزير الأكبر صاحب الطابع يوسف، الذي جلد وصبر فكان النصر حليفه في واقعة شلاطة على واد السراط في 1807/7/3م بسبب تخاذل القبائل الجزائرية من اوراس وحنانشة وفرجيوة، فخلصت تونس رقبتها من يد الجزائريين، وأصبحت كالند لهم[1].

وأمام هذا الوضع الصعب وجد الداي أحمد باشا (1805-1808م) نفسه مضطرا ومكرها لإقامة الصلح مع تونس في 8 سبتمبر 1808م، غير أن الجند قتلوه لاتهامه بالخيانة، وتم تولية الحاج علي باشا (1809-1815م) لتعود حالة الحرب بين الطرفين بإرسال حملات بحرية وبرية، كحملة رايس حميدوا البحرية على موانئ تونس في ماي 1811م وانتصر بساحل سوسة على الأسطول التونسي بقيادة الرايس مُحَمَّد المورالي[2].

لتظل العلاقات مقطوعة بسبب إصرار الجزائر على مطالبها السابقة، أمام تحفظ تونس وتصلبها في موقفها الذي صار ثابتا بعد حمودة باشا، خصوصا في عهد محمود باي (1814-1824م)، فأدى ذلك لأزمة عميقة استنفذت قوة وموارد الايالتين، نتيجة توتر العلاقات بين الطرفين إلى غاية الداي علي خوجة (1817-1818م) الذي أرسل وكيل الحرج لعقد صلح مع تونس في 1817/10/6م ووافق عليه محمود باي وفيه:

- دفع غزاة البحر الجزائريون في الموانئ التونسية أثمان المؤن نقدا.

- عدم الاعتداء على السفن التونسية.

- إخراج مقر وكيل الجزائر إلى خارج مدينة تونس وعليه التأدب في مخاطبته أو مراسلته. - تثبيت الحدود عما هي عليه[3].

ورغم هذا الصلح فعند تولية الداي حسين (1818-1830م) حاول إعادة ما كان للجزائر في تونس من نفوذ، بإرساله حملة برية في مارس 1820م التي رامت دخول الأراضي التونسية وفي جوان 1820م حاول الداي مصادرة سفينة تجارية تونسية ولكنها نجت من ذلك،وفي جويلية 1820م تم اسر ثلاثة سفن تجارية تونسية أخذت حمولتها لعنابة، وفي ظل هذا الوضع تدخل السلطان العثماني لفك النزاع الذي طال أمده، بإرسال مبعوث

([1]) . Mercier, Op.cit. T3,p365.

([2]) . روسو، الحوليات...، ص 183.

([3]) . ابن ابي الضياف، مصدر سابق، ج4، ص 100.

للايالتين في جانفي 1821م وانتهى مسعاه بعقد صلح دائم بين الطرفين في 14 مارس 1821م مما أدى إلى فرحة الشعبين[1].

ولكن على اثر الخلاف الجزائري الفرنسي ما بين 1827-1830م فان باي تونس حسين باي (1824-1835م) كان موقفه سلبيا من الجزائر، بفتح أرضه للدعاية الفرنسية، وتزويدها بالمترجمين، كما جعل موانئه في خدمة الحملة، ومنع مرور الدعم للجزائر القادم من الدولة العثمانية على أراضيه، بل ذهب إلى ابعد من ذلك فقد أرسل وفدا لتهنئة على اثر سقوط مدينة الجزائر، مع محاولته شراء الشرق الجزائري وحكم الغرب تحت المظلة الفرنسية، وهذا تصرف فرد لا تصرف شعب.

خامسا: . العلاقات السياسية الجزائرية الطرابلسية (1519-1830م).

1. مساهمة الجزائر في انضمام طرابلس للدولة العثمانية : (1551م)

بنهاية القرن 15م كانت طرابلس مقسمة على نفسها إلى قسمين وهما: برقة وكانت تابعة اسميا لدولة المماليك بمصر، التي كان يعتريها هي الأخرى الضعف، فسقطت منطقة برقة تحت حكم شيوخها، أما الشطر الثاني جهة طرابلس فقد كان خاضعا لحكم الحفصيين بتونس وهم كذلك وصلوا إلى درجة متقدمة من الضعف، فسئم سكان المنطقة من هذه الفوضى وكثرت الحروب مما جعلهم يبحثون عن منقذ يحقق لهم الأمن والهدوء ويحميهم من ضربات العدو المتكررة[2]، والتي من جرائها سقطت مدينة طرابلس في يد الاحتلال في 25 جويلية 1510م[3] وفيما بعد تنازل شارل الخامس عنها إلى منظمة القديس يوحنا التي بقيت فيها منذ 24 مارس 1530م على اثر توقيعه لمرسوم تضمن بموجبه تنازلا عن طرابلس لفرسان مالطة (Chevaliers de Malte) أو فرسان القديس يوحنا إلى غاية 1551م حيث أصبحت إيالة عثمانية.[4]

في سنة 1518م انضمت الجزائر إلى فلك الدولة العثمانية ومصر قبلها في سنة 1517م فكان لزاما أخذ المنطقة المتبقية بينهما[5]، وفي هذه الفترة انتدب الطرابلسيون وفدا من الأعيان وبعثوا بهم إلى السلطان العثماني، وبعد أن اطلع على الحالة التي آلت إليها هذه المنطقة استجاب السلطان العثماني لإغاثة سكان طرابلس بإرساله لمراد

([1]) . الهادي الشريف، المرجع السابق، ص86.

([2]) . علي بن إسماعيل ، المرجع السابق، ص17.

([3]) . روسي. ليبيا...، المرجع السابق، ص 139.

([4]) . نفسه ، ص 160.

([5]) . على بن إسماعيل ، المرجع السابق، ص18.

آغا[1] وبوصوله اتصل به أهل تاجوراء ومنها حمل لواء الجهاد ضد منظمة القديس يوحنا في 1539م، كما ظهر في هذه الفترة نجم درغوث باشا في المنطقة خصوصا بعد حملة شارل الخامس في 1541م[2].

لذا أمر السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) بإعداد قوة بحرية مؤلفة من مائة وعشرين سفينة إلى جانب خمسين مركبا لدرغوث باشا وأسندت القيادة إلى سنان باشا، وقد مرت هذه القوة بصقلية ومالطة [3]، وفي صيف 1551م استطاع الأسطول العثماني من النزول إلى الأراضي الطرابلسية ، وفي 14 أوت فتحت المدينة والقلعة أبوابها للعثمانيين، ووضع على رأسها مراد آغا ودخلت طرابلس إلى الحظيرة العثمانية[4].

وأصبحت طرابلس الغرب في العهد العثماني تمتد إداريا مابين حدود مصر شرقا والحدود التونسية غربا، وبعده جاء على رأس الإيالة الطرابلسية درغوث باشا سنة 1556م بحيث عمل على تحصينها والدفاع عنها كما دعم بحامية عسكرية من جند الانكشارية [5]، وتغلغلوا إلى إقليم سِرْت، إضافة إلى إقليم الجنوب الغربي الذي عُرف بفزان، ومنحوا الحكام المحليين حكمًا ذاتيًا، وتوسعوا على بنغازي ودخلت هذه المنطقة دون قتال [6]، كما اتخذت مدينة طرابلس كقاعدة لهذا الإقليم الذي أصبح يسمي بطرابلس الغرب في العهد العثماني، ومنه تنطلق الحملات لمجابهة الاسبان في تونس[7]، وقد استشهد درغوث باشا على إثر مشاركته في حصار قلعة مالطة حيث أصابته قطع من شظايا قنبلة سقطت بالقرب منه في صيف 1565م[8].

واهتم دارغوث باشا خلال حكمه لطرابلس الغرب بالشؤون البحرية أكثر من البرية إلا أنه توسع على المنطقة الجنوبية للبلاد لتشمل منطقة غريان إلى مصراته شرقا وامتد توسعه إلى الجنوب التونسي من جربة، صفاقس، المنستير، سوسة والقيروان[9] وكان الجيش يتوزع على الحاميات الداخلية والساحلية، وقد استغلت المناطق البعيدة

([1]) . ناجي، تاريخ طرابلس... ، المصدر السابق، ص 148.

([2]) . Nettement, Op.cit. p32-33.

([3]) .سعيد الطويل، المرجع السابق، ص38.

([4]).Léon de Disson, La Tripolitaine et la Tunisie, Ernest Leroux, Éditeur, Paris 1881, p03.

([5]) . على بن إسماعيل ، المرجع السابق ، ص23.

([6]) . ناجي، المصدر السابق، ص 149.

([7]) . جلال ، المرجع السابق ، ص 28.

([8]) . ناجي، المصدر السابق، ص 150.

([9]) . روسي، المرجع السابق ، ص191.

عن مركز السلطة رغبتها في الحفاظ على استقلالها فكان البدو من قبائل أولاد سليمان في الشرق والمحاميد في الغرب وزعماء الجبل في حالة تمرد دائم[1].

بدخول جربة تحت الحكم الاسباني وجهت الدولة العثمانية حملة بقيادة بيالي باشا، ولكن تردده جعل علج علي يظهر بشجاعته بعد أن هزمهم وطردهم منها، مما جعل السلطان العثماني يعينه أمير أمراء طرابلس الغرب، بعد استشهاد الرايس درغوث باشا، وبقي بها مدة سنتين، وبعدها نقل إلى الجزائر[2].

وتمكن علج علي أثناء حكمه في طرابلس الغرب من فرض الأمن والهدوء داخل المنطقة، ليخلفه جعفر باشا، الذي أدخل فزان إلى حكمه، على اثر ضعف سيطرة كانم عليها، كما ساعده في ذلك وصول أسرة من سلالة مغربي شريف واسمه مُحَمَّد في بداية القرن السادس عشر إلى حكم فزان، وهذه المدينة كانت واقعة تحت حكم شيوخها، ففي عهد المنتصر بن مُحَمَّد زحف الجيش العثماني عليها في 985هـ / 1577-1578م وأمام هذا الزحف فر المنتصر منها إلى السودان، وأقام عليها العثمانيون عاملا منهم عليها وهو مامي[3].

وبعد ضم كل من بنغازي (برقة) وفزان إلى الحكم العثماني في طرابلس الغرب، بدأت تظهر خريطة طرابلس الغرب الموحدة في العهد العثماني، المؤلفة من: ولاية طرابلس، وبرقة، وفزان، واستطاع الحكم العثماني في طرابلس الغرب أن يثبت سيادته على هذه الأرض[4].

سيطر على نظام الحكم في البداية رياس البحر الذين اعتمدوا على موارد البحر لإرساء حكمهم في المنطقة مثل مراد أغا ودرغوث باشا وعلج علي ولكن هذه السيطرة التي فرضها رياس البحر جعلت الدولة العثمانية تعمل على تطبيق نظام حكم جديد، فكان تقسيم منطقة شمال إفريقيا التابعة لها إلى ثلاث اوجاق، وعين على رأس كل وجق باشا وكان يتم تعينه من الأستانة كل ثلاث سنوات، وقد توجه الباشوات نحو خدمة مصلحتهم والدفاع عن لمتيازاتهم باستنزاف الموارد المالية للمنطقة وتبديدها باعتبارهم مرتبطين بمدة زمنية معينة ويعودون من حيث أتوا، وهذا ما جعل الانكشارية تثور عليهم (Révolte janissaires) وتستلم نظام الحكم منهم[5].

([1]). Léon de Disson, La Tripolitaine…, p05.

([2]) . ألتر، المرجع السابق ، ص 224.

([3]) . روسي، المرجع السابق ، ص 228.

([4]) . الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض 1996، ص 215.

([5]) . ابن غلبون، المصدر السابق، ص 12.

ويضاف إليها عدم تلقي الباشوات المرسلين من طرف الدولة العثمانية الدعم الكافي مما جعلهم يتخلون عن دورهم في ممارسة الحياة السياسية الفعلية فأصبحوا مثل الدمى في أيدي الجند ترمي بهم حيثما شاءت، ففي سنة 1603م حدث انقلاب عسكري في الايالة وتم فرض نظام الدايات وتولى السلطة صفر داي فأزاح الباشا المبعوث من اسطنبول كما بطش بالانكشارية[1].

فتغير نظام الحكم من الباشوية إلى الدايات، وأصبح الباشا المبعوث من طرف السلطان العثماني حاكما سوى على منزله فقط، أما السلطة الفعلية ففي يد الداي وهذا بداية من الباشا الذي أرسل من الأستانة واسمه "علي" لخلافة عثمان فقد أبعد عن السلطة الفعلية وكانت مهمته إبرام الاتفاقيات مع الدول[2].

فأصبح أغاوات الانكشارية ينتخبون منهم حاكما يحمل لقب الداي وقد بقيت إدارة البلاد الحقيقية في يد الدايات، في حين أضحى الباشوات المبعوثون من الباب العالي عبارة عن ممثل للدولة [3]، ما فتئ هذا النظام حتى عرف نوعا من التحول بحيث تولى في جويلية 1711م أحمد باشا القرمانلي الحكم في طرابلس الغرب، وهو أول والي من الأسرة القرمانلية غيّر نظام الحكم إلى حكم ملك وراثي [4] توارثته أسرته إلى غاية سنة 1835م حيث عادت طرابلس الغرب إلى نظام حكم مباشر كما كان في أول عهدها[5].

وقسمت الايالة الطرابلسية إلى مقاطعات على رأسها بايات، وكان الباشا في طرابلس يعين ابنه أو آخاه بايا على أي إقليم مثل بنغازي، درنة، فزان وكان هؤلاء البايات يقومون بجمع الضرائب من المقاطعات[6].

ويظهر التنظيم الإداري الذي أقامه العثمانيون في منطقة فعلى رأس هرم السلطة الباشا التابع للسلطان العثماني عن طريق قبودان باشا، ويعتبر الباشا قائد الفرق الانكشارية المرابطة في البلاد، وإلى جانب الكاهية الذي يعتبر كنائب الباشا، وخزندار يختص في شؤون الخزينة المالية، وعدد من الخوجات وهم يقومون بوظيفة الكتابة والاستشارة وقاضي الجند وعدد من الدفتردار أي الموظفون الإداريون ووكيل الجباية والخراج ويتولى شؤون المخازن والتموين، أما المقاطعات فقد وضع على رأسها البك وهو لقب يمنح للضباط المكلفين بمهام أعلى، وبعدها صار لقبا خاصا

([1]) . ايليتش بروشين، تاريخ ليبيا ...، المرجع السابق، ص 59.

([2]) . كلود زليتنر ، المرجع السابق ، ص321.

([3]) . ناجي ، المرجع السابق ، ص 152.

([4]) . De Disson, Op.cit. p25.

([5]) . علي بن إسماعيل، المرجع السابق ، ص 32.

([6]) . كلود زليتنر ، المرجع السابق ، ص 392.

بقائد الحملة (المحلة، النوبة) المكلفة بجباية الضرائب من السكان، ثم أطلق على صاحب السلطة التنفيذية في قيادة الجيش وفي الفترة الأخيرة صار يمنح لقب البك كلقب تكريم وتشريف يخص أبناء (الباشوات) أما لقب الداي فقد أخذ بمرور الزمن يقتصر بمعناه على الضابط المكلف بدفع رواتب الجند [1]، والديوان كان يعالج أمور الشؤون العامة للحرس الانكشاري برئاسة أغا، أما رئاسة البحرية فقد منحت للقبودان رايس مسؤولية على جميع السفن التابعة للباشا أو الداي[2].

ويتضح مما سبق أن هؤلاء القادة الطرابلسيون قد أهملوا وسائل الإنتاج و ربطوا أنظمتهم بالنشاط العسكري والبحري كمصدر رئيسي للاقتصاد وأعطوا الأولوية للأمور العسكرية على حساب التنظيمات الاقتصادية، [3] كما أن سياسة فرض الضرائب قد أججت نار الفتن داخل البلاد، حيث رفعت بعض القبائل لواء التمرد تعبيرا لرفضها للسياسة الجبائية التعسفية المفروضة عليها مثلما كان الأمر في الجزائر العثمانية.

2. العلاقات السياسية الجزائرية مع باشوات طرابلس.

ساهمت الجزائر من خلال بحريتها في تدعيم التواجد العثماني في طرابلس الغرب، حيث ساهم أسطولها من إدخال هذه المنطقة تحت راية الدولة العثمانية لتكون في فترة البيلربايات تحت إشراف الجزائر [4] ولكن سرعان ما تغير هذا الوضع لأسباب واعتبارات ترجع لتلك الفترة، فأصبحت كل من الجزائر وطرابلس يحكم كل منها باشا [5] يعين من الدولة العثمانية لمدة ثلاث سنوات انطلاقا من 1587م، وتتبع السلطان عن طريق قبودان باشا [6](القائد العام

([1]) . روسي، المرجع السابق ، ص 215.

([2]). De Disson, Op.cit. p26.

([3]) . جلال، المرجع السابق ، ص 61.

([4]) . يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائرالحديث، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007، ص 33.

[5] . **باشا:** كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية (باش داه) تدل على أعلى الألقاب الرسمية التي كانت مستعملة في تركيا و البلدان العربية وهذا اللقب لا يورث كان يمنح للعسكريين والكبار الموظفين المدنيين من غير رجال الدين ظهر في القرن 8م، استعملته بعض المماليك الإسلامية وكان لها شان الشرف في أوربا ثم بدل بالباشا الو بمعنى السلطان ويعطى لنساء أحيانا وكان مستعملا في نصف القرن 13 وأضيف للباشا أسماء أخرى وكان عددهم محدودا ،ولقب اثنان من أسرة بني عثمان بلقب الباشا ،وسرعان ما أصبح لقب الباشا لمراكز العليا في الحكم واستمر هذا الاسم يعطى لكثير من الوزراء حتى استبدل بالصدر الأعظم أو الباب العالي ويعني كبير الوزراء.وقد قسم المجتمع إلى طبقات وكل طبقة تحتوي على اسم تتميز به،وفي عام 1934 استبدل لقب باشا بلقب الجنرال واستعمله الأوربيون كثيرا . وكان لكلمة باشا شهرة عالمية وفي اليونان يرجع تاريخها الى القرن16.

[6]. **قبطان:** أو رياله بك مختصر رياله هماينون قبوداني أي قبطان الغليون السلطاني و رياله مأخوذة من الكلمة الايطالية ، و كانت الرتبة ريالة شأنها شأن رتبتي القبودانه و البترونه تطلق عند الترك في اول الأمر على ضابط أساطيل المسحيين ،وقد دخلت هذه الرتبة لغة البحارة الترك بصفة غير رسمية في بداية الأمر أيام السلطان مُحَمَّد الرابع و الظاهر أن هؤلاء الضباط الثلاثة جميعا كان لهم الحق في التلقيب باشا، القبودان باشا و هو يحمل رتبة وزير دولتو كان قبطان البحر أو كما يقال الفذ و الاسم قبودان مأخوذ من كلمة البندقية و القبطان استعملت فيما بعد للدلالة على أي قائد يأمر سفينة.

للأسطول العثماني) لتدخل العلاقات بين البلدين في جو من التضامن والتعاون بينها لوقوعهما تحت الراية العثمانية، ولمواجهة الاخطار الخارجية والداخلية، وسعت إلى استقرار طرابلس الغرب، فعند قيام الجند بثروته في بداية القر17م أرسلت حملات عسكرية لإعادة النظام بها، وظلت العلاقات بين البلدين قوية حتى ظهور الاسرة القرمانلية.

وقد وصلت العلاقات الجزائرية الطرابلسية الى حد التعاون العسكري بينهما بسبب التهديد الذي كان على الجزائر من جارتيها تونس والمغرب الأقصى، فقد وصلت القوة الطرابلسية الى ميناء عنابة حيث توجهت مع الجيش الجزائري نحو تونس ، فاستولوا على القلاع التونسية وغنموا مدفعيتها وذخيرتها، كما حاصروا مدينة تونس وشددوا فيها الحصار المدعوم بالقصف، ونتيجة الخسائر الكبيرة انعدام المؤن بالمدينة وقعت مستسلمة، فقام الداي شعبان بتعيين مُحَمَّد شقير اميرا على تونس وعاد الجزائر سنة 1694م، وافل الجيش الطرابلسي متوجها نحو بلاده[1].

3. مع الأسرة القرمانلية (1710-1835)

1.3. قيام الاسرة القرمانلية:

وقد جاء مؤسس هذه الأسرة من قرمان بالأناضول كبحار بسيط وامتلك بعض المزارع والنخيل في حي المنشية المجاور لمدينة طرابلس، وبمرور الوقت تصاهرت هذه الأسرة مع الأسر القوية المحلية في الإقليم بحكم المصالح المتبادلة، وقد وصل يوسف باشا إلى مرتبة باش آغا الفرسان في منطقة الساحل في عهد الوالي خليل باشا، وهو والد أحمد باشا القرمانلي الذي تمكن من الاستيلاء على السلطة، وتأسيس ملكية وراثية،[2]

أما **قبودان دريا** فهي اعلي رتبة من "الدريا باشى" الذي كان بدوره اعلى رتبة. وكان كل واحد من الضباط من القبودان باشا إلى الرياله صاحب دكنك أي كتن لهم الحق في حمل عصا القيادة و كانت تسمى هذه العصى صدفكارى عصا لأنها كانت مرصعة بالصدف على اختلاف ألوانه و تماثل البنادقة و تستعمل في الأحيان كثيرة بمعنى الخيزران ،و في عهد عبد الحميد الأول نظمت الرتب البحرية و عدلت بعض التعديل وفقا للنظم الحديثة فأصبحت ثلاثة رتب لأمراء البحر و هذه الرتب هي :

1- قبودان بك : أي اميرالبحر أو رئيس المجلس الأعلى الأسطول، ويحمل عصا خضراء و له الحق ان يضع شارة تحت العلم المرفوع على السارية الكبرى .

2- قبودان باترونه بك : أي وكيل امير البحر، و هو يحمل عصا زرقاء و يضع علمه على الصارى المقدم .

3- قيودان رياله يك : أي مساعد وكيل أمير البحر، و عصاه زرقاء و يضع علمه فوق الصارى الأوسط. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، عربها كل من مُحَمَّد ثابت أفندي، احمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، المجلد الثالث، حرفي أ-ب، ص300-302.

([1]) . سامح، المرعج السابق، ص 535.

([2]) . جلال.، المرجع السابق ، ص 58.

وقد عمل أحمد القرمانلي في البداية على تثبيت دعائم حكمه في الداخل وذلك بتطهير البلاد من عدد كبير من زعماء الانكشارية الذين كانوا سببا في الفوضى والاضطرابات الحاصلة داخل البلاد، كما قضى على حركات التمرد والعصيان التي ظهرت ضده في كل من المدن التابعة إلى طرابلس أو فزان أو بنغازي (برقة)، كما مهد هذا الأخير إلى استقلال طرابلس عن حكم الدولة العثمانية وجعل نظام الحكم داخل طرابلس نظاما وراثيا تتوارثه أسرته إلى غاية سنة 1835م[1]، وقد كان لقيام الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب سنة 1711م منطلقا أعطى شكلا نسبيا من شخصية الدولة القومية بالمفهوم الحديث، مع انضوائها اسميا تحت غطاء الدولة العثمانية، فأضحت شبيه بحكومة وطنية، فكان جهازها السياسي والإداري والعسكري محلي، مثلما حدث في تونس قبلها سنة 1705م، كما تم رسم حدودها السياسية مع تونس بطريقة ودية [2].

وسرعان ما عرفت طرابلس الفوضى، بسبب أفراد الأسرة القرمانلية الذين تقاتلوا فيما بينهم على السلطة، مما مهد لثورات أخرى، ففي سنة 1788م بدأت جلبة الانشقاقات داخل الأسرة المالكة في الانتشار، الأبناء ضد الأب والإخوة ضد بعضهم البعض، وحتى القبائل فيما بينها [3]، فهذه الأحداث التي جرت رحاها في المنطقة الطرابلسية قد أدخلتها في دوامة من الفوضى أدت إلى نهب القبائل وطردها بفعل مصادرة أراضيه ، كما أن السياسة التي عرف بها العثمانيون أنهم إذا دخلوا أي منطقة لا يتدخلون في نظمها الداخلية وأعرافها الموروثة إلا بما يخدمهم[4].

2.3.طبيعة العلاقات الجزائرية الطرابلسية:

عرف هذه الاسرة خلافات داخلية بين افرادها كما قلنا، استدعى في بعض الاحيان تدخل كل من الجزائر أو حتى تونس في تصحيح مسارها السياسي والعسكري، وكان اول صراع داخلها بين خروج يوسف باشا عن والده علي القرمانلي باشا مما استدعى تدخل الجزائر لحل النزاع، وفي سنة 1792م سار علي برغل الجزائري من دار الاستانة الى ميناء طرابلس الغرب، مدعما بقوة الاسطول العثماني حاملا فرمان توليته على هذه المدينة المضطربة امنيا [5]، ودان له ساكنة المدينة وأيدوه نتيجة الفوضى التي طال امدها بين افراد الاسرة القرمانلية، فاعتلى علي برغل الحكم

([1]) . علي بن إسماعيل المرجع السابق ، ص 32.

([2]) . عمار جحيدر، " العلاقات الليبية التونسية في القرن التاسع عشر (ملاحظات أولية على نشاط الوكلاء) "، من المجلة التاريخية المغاربية (العصر الحديث والمعاصر)، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، السنة 10، العددان 29-30، تونس 1983، ص 125.

([3]) . كلود زليتنر ، المرجع السابق ، ص 399.

([4]) . على بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 25.

([5]) . كوستانزيو برنيا، طرابلس الغب من 1510-1580م، تعريب محمد خليفة التليسي، ط1، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ليبيا 1985م، ص 47.

بطرابلس الغرب وفر علي باشا القرمانلي حاملا ما خف وزنه وغلى ثمنه وافراد اسرته وسار بحرا نحو تونس، التي سارعت الى ارجاعه لمنصبه بموافقة الجزائر[1].

وعشية احتلال الجزائر من طرف المستعمر الفرنسي فقد أرسل قطعة من أسطوله لمحاصرة مدينة طرابلس الغرب وفرض شروطها التي منها عدم التدخل في الشؤون الجزائرية، فان المدينة حاولت مقاومة ولكن بسبب كثافة القصف فان يوسف باشا أمضى معاهدة صداقة مع فرنسا في 29سبتمبر 1830م.

سادسا. العلاقات الجزائرية المشرقية:

1. العلاقات السياسية مع الدولة العثمانية

كانت العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية مرتكزة على الجانب الاستراتيجي والأمني والسياسي، التي تهم كلا الطرفين، وبرزت تلك العلاقات في :

تعيين وإعادة تعيين بعض من بيلربات الجزائر من طرف السلاطين العثمانيين، من خلال فرمانات سلطانية، على مدار حكم العثماني بالجزائر الذي دام ازيد من ثلاثة قرون.

أيضا تدخل السلاطين العثمانيين لتسوية الخلافات القائمة بين الجزائر والدول الأوروبية، رغم استقلالية الخارجية الجزائرية في قرارتها عن الدولة العثمانية الا انها كانت تتراجع عن قرارتها نزولا عند رغبة السلاطين، وأيضا لان حكام الجزائر تم تقييدهم بالدولة العثمانية في اطار تزويدها بالجند المتطوع في خدمة الجيش الانكشاري الذي كان العمود الفقري لتثبيت نظام الحم في الجزائر واستمراريته، فاستغلت الدلوة العثمانية تلك ا لورقة في كل مرة للضغط على حكام الجزائر[2].

وعليه فان حكام الجزائر لم يكونوا قادرين على إعلان الحرب على دولة مسالمة للدولة العثماني ة او طلب السلم مع دولة معادية للدولة العثمانية، كما ان الدلوة العثمانية قد سايرت نفس المبدأ مع الجزائر في خضم علاقاتها مع الدول الأخرى فلم تسالم دولا معادية للجزائر او تعادي دولا مسالمة للجزائر، وعلى هذا فقد شاركوا في حروب الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية خصوصا في القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر على اثر تمرد اليونان وغيرها[3].

([1]) . برنيا، المرجع السابق، ص 234.

[2]. بلال مريم، "العلاقات العثمانية –الجزائرية 1519-1830م من خلال أرشيف المكتبة الوطنية (دراسة أنموذجية)"، عن مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ع 2، مج 23 جامعة باتنة، 2022م، ص 187.

[3]. نفسه، ص 187.

2. العلاقات السياسية مع البلاد العربية

اتسمت العلاقات الجزائرية مع البلاد العربية وعلى رأسها مصر التي كانت إحدى ايالات الدولة العثمانية ويسري عليها ما يسري على باقي الايالات حتى أن الجزائر قد أعلنت العداء ضد فرنسا عندما قامت بالاحتلال مصر سنة 1798م وقطعت العلاقات معها كما زجت بالسفير الفرنسي إلى السجن وهذا لتأكيد تلك اللحمة التي تربط المنطقة.

تميزت العلاقات الجزائرية مع البلاد العربية بالمشرق في مجملها بالسلم والطيبة في العلاقات، فقد تضامنت الجزائر مع مصر أثناء تعرضها للحملة الفرنسية سنة 1798م بقيادة نابليون بونابرت، حيث قام الداي مصطفى بالقاء القبض على المقيمين الفرنسيين بالجزائر وزج بهم إلى السجن مع قنصلهم، وهذا تبعا لرأي العام للدولة العثمانية في موقفها الرافض لذلك التدخل السافر في مصر باستعمال القوة العسكرية[1].

كما برزت تلك العلاقات الودية والتعاونية من خلال الرسائل التي كان يرسها حكام الجزائر الى مصر لتسهيل مهمة الحجاج أو الجند الذين هم في مهمة، فقد راسل الداي حسين الجزائر مُحَمَّد علي باشا عدة مرات من خلال وكلائه بالقاهرة، ليسهر على راحة الحجيج ورعاية شؤونهم، كما الأراضي المصرية كانت منطقة لتجنيد الجند المتطوع المتوجه لأداء الجندية بالجزائر إلى غاية فترة الحصار الفرنسي على الجزائر في 1827م[2].

كما كانت المصر المحطة الأخيرة للداي الجزائر بعد تسليمه لمفاتيح مدينة الجزائر للجيش الفرنسي سنة 1830م حيث انتقل مع عائلته وأتباعه نحو ميناء الإسكندرية ،وأقام على شرفه مُحَمَّد علي باشا مأدبة حضرها هو واعيان المدينة، ومن خلالها قام الداي حسين بالثناء على الباشا وأثنى على أعماله في إعمار مصر، وبقي فيها الداي حسين حتى توفي وقبر[3].

ولذلك بقيت العلاقات بين الجزائر والمشرق متينة وودية ومراكز للإقامة والحج وطلب العلم، لذا بعد الاحتلال كثير من الأسر الجزائرية استقرت بسوريا وفلسطين ومصر والحجاز وغيرها من البلدان العربية بدون عقدة أو أنهم حتى لم يحسوا بخروجهم من وطنهم الأم،وتناسلوا وذابوا فيها.

([1]) . سفيان صغير، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (161-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2012-2013م، ص 407.

([2]) . فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداي حسين(1818-1830م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011-2012م، ص 152-153.

([3]) . مُحَمَّد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903م، ص 85.

المحور الثاني: المحور الثاني: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغاربية المشرقية:

أولا. العلاقات الاقتصادية الجزائرية مع المناطق المغاربية:

1. العلاقات التجاريق لمنطقة المغاربية:

لقد شهدت المنطقة المغاربية حركة تجارية متفاوتة، ارتبطت إلى حد كبير بالعلاقات السياسية بين الدول الجوار، كما اتسمت المنتجات الفلاحية والحرفية فيها بالتشابه ما بين الشمال والجنوب، ورغم ذلك فان الحركة التجارية لم تفتر، وارتبطت هذه الحركة بمدى توفر الشروط اللازمة لها، وعلى رأسها الأمن والاستقرار، حيث أكسبت مدخيل لا بأس بها، ولكن في مجملها كانت مبادلات تجارية لم ترق إلى ما وصلت إليه مع الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا وايطاليا وانجلترا وغيرهم، وساعد الحركة المبادلات الاقتصادية بين دول بالمنطقة المغاربية عدة عوامل منها:

1.1. المسالك البرية والطرق البحرية:

1.1.1. المسالك البرية: وهي طرق أو مسالك تتبعها القوافل في رحلتها، على شكل خطوط طبيعية آخذة أسهل طرق حول الصخور أو كتل الرمال أو الأودية الصغيرة وتتبع تلك الطرق مصادر المياه، وبعض منها يسمى طريق تجاري وأخرى تسمى بطرق الحج ولا يمكن أن يكون هناك تميز واضح بين النوعين لمعرفة أي منها يستخدم لأي الغرضين والوقوف بينهما هو الخلفية التاريخية المقصود بها قدم طرق التجارة بالقياس إلى طريق الحج التي حددت في العهد الإسلامي [1].

وانقسمت الطرق البرية في بلاد المغرب العثماني إلى قسمين سلطانية وجهوية، والسلطانية هي الطرق الكبرى التجارية، وتربط الأقطار المغاربية فيما بينها مع المشرق العربي، ومع دواخل إفريقيا المعروفة باسم السودان [2]، وهي على نوعان طرق عرضية متبعة سير السلسلة الأطلسية وأخرى قُطرية منها:

الطريق العرضي الشمالي: ويربط تونس بفاس مرورا بعدة حواضر مثل الكاف وقسنطينة وسطيف، وحمزة والجزائر فوهران ثم تلمسان فوجدة [3].

الطريق العرضي الأوسط: ويربط قفصة بمدينة الفكيك مرورا ببسكرة والأغواط والبيض سيدي الشيخ.

([1]) . بنت معجب بن سعيد حامد، المرجع السابق ، ص 179.

([2]) . سعيدوني،النظام ...، المرجع السابق ، ص 38.

([3]) . الزبيري، المرجع السابق ، ص 141.

الطريق العرضي الجنوبي: يربط نفطة بتفلالت مرورا بأهم واحات الجزائر [1].

الطريق القطري الغربي من وهران إلى تمبكتو: ويمر على خيثر، مشري وعين الصفراء، الفقيق، ويتبع مجرى واد زوزفانة إلى ايجلي منها يلتقي بطريق فاس إلى تمبكتو [2].

الطريق القطري مدينة الجزائر إلى تمبكتو: ويمر على البليدة وبوغار فالاغواط نحو غرداية ومنها إلى القليعة فعين صالح ثم إلى أكابلي فبئر تيريشومين حيث يلتقي بطريق توات إلى تمبوكتو [3].

الطريق القطري الشرقي: يربط بين وادي ميزاب بتونس مرورا بالأغواط وبوسعادة وقسنطينة والكاف [4].

الطريق القطري الشرقي: يربط الشمالي الغربي لتشاد وتنتهي بفزان في مرزق مرورا بتومو (واحات كاوار) ومنها يتفرع نحو طرابلس، تونس، بنغازي، وحتى مصر وطريق آخر يمر على منطقة الاير ويصل كانو بمنطقة غات ومنها التوجه نحو تونس وطرابلس، وحتى منطقة الاير كان من الممكن التوجه شرقا والانضمام إلى القوافل المتجهة إلى فزان في منطقة كورا [5].

2.1.1. الطرق البحرية : محصورة في رحلات بحرية بين الموانئ العربية الواقعة على الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط، وكانت السفن التي تقوم بعملية الشحن أو نقل تلك البضائع في أغلب الأحيان سفن تركية أو أوروبية، وكان التجار يقومون باستئجارها لنقل بضائعهم إلى الموانئ المراد التوجه إليها [6]، ولكن هذا النوع من الطرق كان قليل الاستعمال إذا ما قورن بالبرية وهذا يرجع إلى التكالب الأوروبي على دول المنطقة من جهة، وإلى انتشار عمليات القرصنة.

فاحتكرت هذه الوسيلة في أغلب الأوقات في يد الأوروبيين، ولم تشهد إقبالا من طرف سكان المنطقة، حتى أن اغلب مالكي هذه السفن هم متعهدون من الدول الأوروبية يقومون برحلات لفائدة هذه الدول مقابل ربح مالي

([1]) . الزبيري، المرجع السابق، ص 142.

([2]) . يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2001، ص 45.

([3]) . بوعزيز، تاريخ افريقيا... ، المرجع السابق ، ص 45.

([4]) . الزبيري، الرجع السابق ، ص 142.

([5]) . كلود زليتنر ، المرجع السابق ، ص 20.

([6]) . عبد الرحمن عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص 398.

يأخذونه على كل شحنة من البضائع التي ينقلونها سواء فيما بين الأقطار الإسلامية أو مع الدول الأوروبية، وحتى في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني أصبح الحجاج يفضلون السفر في البحر بدل البر [1] .

فكان لهذه الطرق وغيرها دور فعال في تنشيط المنطقة وربط الصلات بين مجموع سكان المنطقة بين شمال القارة وجنوبها أو مع المشرق العربي أو البلدان الأوروبية في تبادل السلع والأفكار.

2.1. المبادلات التجارية:

وفي هذا الإطار كانت الجزائر ترسل إلى تونس وكلاء عرفوا تحت عدة تسميات: "القنصل الجزائري بتونس"، "القائم بأعمال الجزائر بتونس"، "وكيل الجزائر بتونس"، "النائب عن أهل الجزائر" وكان يختارهم بايات قسنطينة بطلب من دايات الجزائر ويتم إرسالهم إلى تونس، وقد استغلهم البلاط الحسيني في خدمة أغراضه مثل الحرب التونسية الجزائرية في عهد حمودة باشا قصد تقوية جانبه [2]، فاتسمت التجارة بينهما بالازدهار والركود في نفس الوقت وهذا حسب الحالة الاقتصادية للمنطقتين بسبب الكوارث الطبيعية مع عدم تصفية الجو السياسي.

وارتبطت تونس في تعاملها مع الجزائر من خلال الشرق الجزائري وقد وصل في نشاطه إلى حد أن عبر عنه السيد مورو في كتابه عن تاريخ التجارة في شمال إفريقيا بأن :"الرأسمال المستعمل بين تونس والشرق الجزائري يزيد عن نصف مليون فرنك شهريا."، في حين أن تجارة الموانئ في الجزائر لم تكن تشغل أكثر من خمسة ملايين من الفرنكات سنويا [3]، فكانت تخرج من قسنطينة قافلة كل شهر نحو حاضرة تونس عبر الكاف وقافلة أخرى نحو الصحراء عبر بسكرة وقدرت قيمة القافلة الموجهة نحو تونس عام 1806م بما لا تقل عن 100.000 ريال(قرش قوي) أي ما يعادل 535.000 فرنك ذهبي [4].

كما امتلك صالح باي عدة حوانيت وكان له وكالة بباب المنارة بتونس قصد التجارة [5] فغدت قسنطينة ملتقى القوافل التجارية الكبرى، القادمة من طرابلس، غدامس، تونس، بسكرة، الجزائر والمغرب الأقصى، وكان البعض منها يضم 200 جمل وزيادة تشحن بضائع البايلك المختلفة الفلاحية والحيوانية والحرفية، إلى مختلف الجهات الإفريقية والمشرق العربي، كما ساهمت الموانئ في إقامة تجارة خارجية مع الدول الأوربية الوافدة إلى قسنطينة مثل

([1]) . De Bisson, Op.cit, P113.

([2]) . الامام، مرجع سابق، ص 384.

([3]) . الزبيري، المرجع السابق ، ص 144.

([4]) . سعيدوني، الجزائر في ...، الرجع السابق ، ص 72-73.

([5]) . قشي، مرجع سابق، ص 117.

ميناء عنابة، القل، سكيكدة القل وسطورة وتم وضع وكلاء عليها لمراقبة التجارة الخارجية، واستخلاص الضرائب الجمركية على البضائع الواردة والصادرة[1].

فاستطاعت قسنطينة بحيويتها التجارية والاقتصادية أن تفرض استقطابا على الأرياف المجاورة، مما جعل نفوذها التجاري يصل إلى غاية تونس وطرابلس الغرب، بحيث تستوردان منها الملابس المطرزة والأقمشة الحريرية والتوابل، وبالمقابل تستورد منهما الجلود والشموع والحبوب واللحوم[2].

وتلخصت أهم الصادرات الجزائرية نحو تونس في الحزم الحريرية والمنسوجات المحلية من أصباغ وزنجبيل وتبغ وفي بعض السنوات التمور، التين، العنب الجاف، ريش النعام، الملح وقليلا من المنسوجات كالزرابي والمنادل المطرزة، بالمقابل تستورد منها القلنسوات التي اشتهرت بها تونس [3] والفخار الملون (الزليج) وعدد من السلع الصوفية ومنتجات المحلية الأخرى [4].

كما تعاملت الجزائر تجاريا مع طرابلس الغرب من خلال القوافل التجارية وقافلة الحج، وقد وصف الرحالة مثل العياشي والورثيلاني تلك العملية من المبادلات والتي كانت تقام في شكل أسواق خارج الحواضر والقرى التي تمر عليها خطوط القوافل، وكانت تتلقى الجزائر من طرابلس الغرب أعداد كبيرة من العبيد ويتم دفع ثمنهم بمنتجات البلاد المحلية، وظهر في هذه الحركة التجارية البساكرة والمزابيون كوسطاء بين المنطقتين خصوصا الجزائر وغدامس[5]، فجلبت منها الزرابي والأواني الخزفية والقطن والأقمشة[6].

ورغم الاضطرابات التي شهدتها العلاقات التونسية الجزائرية، وتسلط حكام الجزائر عليها في بعض المرات، من خلال إرسال دايات الجزائر وبايات قسنطينة نحو أسواق تونس دفعات من الأنعام لبيعها فيها، حيث كان يتم تحديد سعرها مسبقا، كما أنها تباع قبل نظيرتها التونسية [7]، إلى جانب الضريبة المفروضة عليها والمتمثلة في شحنة من الزيت تسلمها كل سنة، إلا أن هذه المعاملة لم توقف التعامل بينهما، فقد كانت تستقبل تونس بين 8 و 10 قوافل تجارية سنويا من قسنطينة، ولكنها بعد 1809م أصبحت تستقبل هذا العدد أو يفوق في الشهر وليس

([1]). العنتري، المصدر السابق ، ص 81.

([2]) . العروق، المرجع السابق ، ص 80.

([3]) . حليمي ، المرجع السابق ، ص 310.

([4]) . سعد الله، محاضرات ...، المرجع السابق ، ص 156.

([5]) . شالر، المصدر السابق ، ص 110.

([6]) . حليمي ، المرجع السابق ، ص 308.

([7]) . ابن ابي الضياف، مصدر سابق، ج3، ص 55.

سنة، وكانت محملة بالبرانس والغنم والعملة النقدية للبيع، في حين تورد إلى الجزائر الشالات والأدوات المعدنية، والأقمشة والحلي ومواد البقالة[1] والشاشية الحمراء التي راجت في الجزائر مما جعل مثيلتها الجزائرية تتراجع وتنحط نوعيتها لتقتصر على الطبقات الشعبية الفقيرة[2].

3.1. تشجيع الحكام للتبادل التجاري:

اهتم الحكام العثمانيون بالتبادل التجاري في المنطقة المغاربية في كافة مراحله من أجل توفير مداخيل مالية، وزاد هذا الاهتمام في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فقد عمل حكام كل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب على تشجيع التجارة والعمل على أن تكون تحت نظرهم ومراقبتهم، وذلك بحفر الآبار للقوافل التجارية، وتوفير الأمن في الطرقات من اللصوص ببناء الأبراج، الحصون والجسور، لمراقبة الطرق التجارية وإنشاء الفنادق لتخزين والبيع كفندق الزيت...والأسواق باعتبارها ملتقى لعدد كبير من القبائل[3].

ولم تكن أهمية هذه القوافل البرية إلا من خلال ما تحمله من سلع قيمة وأهمها العبيد [4]، لذا كانت هناك بعض القبائل على طريق القوافل تعمل على ضمان الأمن فيها مقابل ضريبة على ذلك مثلما كانت تقوم به قبائل أزقور بغدامس و الشعانبة والسوافة [5]، مثل قافلة بني ميزاب التي كانت تحميها قبائل العربة (Larba) وسيدي عقبة ومخاليف بعدد قدر بـ 800فارس إلى غاية التل مقابل ضريبة[6].

وكانت تشرف الحكومة العثمانية على قوافل الحج الضخمة، وتهتم بأمنها وسلامتها من هجمات البدو المتناثرين على طول طريق الحج، وعادة ما يفضل التجار الانضمام إليها، وفي بعض الفترات يقومون بإعداد القوافل الكبيرة المشتركة بينهم يتم تزويدها بالحراس [7] ويصل حجم بعضها إلى ستة ألاف جمل، منتقاة بعناية لطول مدة السفر التي تتعدى ثلاثة أشهر، مع الصعوبات الطبيعية أثناء الطريق، وأدت تلك القوافل دورا مهما في عملية التبادل التجاري وتفاعله مع الأقطار المجاورة [8].

([1]) . الإمام، المرجع السابق ، ص300.

([2]) . سعيدوني، النظام..، ص 37.

([3]) . Raymond, Op.cit , P 242.

([4]) . كلود زليتنر ، المرجع السابق ، ص 21.

([5]) . بوعزيز، المرجع السابق ، ص 61.

([6]) . Goyne, « Le Mzab », in R.A, P 204.

([7]) . De Bisson, Op.cit, P113.

([8]) . بنت معجب بن سعيد حامد ، المرجع السابق ، ص 180.

وكمثال على الأرباح التي تحققها تجارة القوافل مما استدعى الحكام الاهتمام بها نضرب مثال أورده الد. يحي بوعزيز فالحصان الجيد يساوي 30 دوخة (240 فرنك) في شمال المغرب، ليباع في السودان بعدد 17 عبدا أسود، معدل سعر كل واحد منهم 25 دوخة في المغرب وهو ما يعادل 425 أو 3400 فرنك، فمبلغ 240 فرنك أنتجت 3400 فرنك (1 دوخة = 8 فرنك) مع إنقاص التكاليف التي تصل إلى 1000فرنك ورأس المال المقدر بـ 240فرنك يكون الربح الصافي هو 2160 فرنك أي بنسبة 200%[1]، وقطعة مالطة القطنية ذات مقياس 22متر تباع في طرابلس بمبلغ 8 فرنك، وفي الجزائر بـ 13فرنك، وفي كانو بـ 8آلاف كوري أي 16 فرنك، وفي تمبوكتو بمثقال ونصف ذهبي والمثقال يساوي 19 فرنك[2].

فوفرت هذه التجارة بشقيها ثروة مالية عمل الحكام على السيطرة عليها، كما تسايرت في مجملها مع ما كانت تطرحه الأوضاع الداخلية والخارجية كوفرة الأموال وحرية الاستيراد والتصدير، وساعد ذلك قوة نشاط البحرية لبلاد المغرب بما كانت تجلبه من غنائم البحر وقد شكلت مصادر دخل معتبرة[3].

2.الأسواق وأهميتها:

كانت الأسواق في بلاد المغرب متشابهة، وتعقد في شكلين رئيسين أسواق يومية وأسواق أسبوعية:

1.2. الأسواق الأسبوعية: وكانت هذه الأسواق تقام أسبوعيا وهي معروفة بأسماء الأيام التي تعقد فيها، في القرى المركزية البعيدة عن الحواضر أو عند أبوابها في ساحة كبيرة، تباع فيها كل ما يحتاج إليه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة [4] وكانت تلك الأسواق الجهوية تعتمد على المقايضة في مبادلاتها، ويتم تبادل المنتجات المحلية من فلاحية وحيوانية وحتى ملتقى للأفكار وتبادل المعلومات بين السكان، ولعبت هذه القرى دور المراكز العمرانية التي تتلاءم وحرفة عدم الاستقرار، لأن أغلب الوافدين على هذه الأسواق الأسبوعية هم من الرعاة المتنقلين بين المناطق، لذا كانت قليلا ما تدخل النقود في المبادلات التجارية مثل سوق تافورة خارج باب عزون يجتمع فيه سكان الريف بسكان الحضرة للتبادل التجاري بحيث تختلط فيه دواب الحمل بالبضائع

([1]) . بوعزيز، المرجع السابق ، ص 56.

([2]) . نفسه، ص 55.

([3]) . خلف التميمي."ملامح الوضع الاقتصادي ..." المرجع السابق ، ص ص 109-118.

([4]) . الزبيري، المرجع السابق ، ص 136.

المحلية، ويعقد في النهار فقط، وفي العراء دون تنظيم، يتم فيه تبادل السلع المحلية باستعمال النقود، وأهم سلعه المنتوجات الحيوانية[1].

2.2. الأسواق اليومية: وهذا النوع وجد غالبا داخل الحواضر لذا سكان الحواضر في غالبيتهم امتهنوا حرفة التجارة لتعدادهم القليل، وساد التعامل بالسيولة النقدية، وظهرت هذه الأسواق في شكل طريق ضيق مقسم إلى مربعات في أغلب الأحيان، وتلك المربعات مقسمة بدورها إلى نصفين، جزء يخصص للسلع والبضائع والجزء الثاني يبقى خاليا يقف فيه الزبائن [2]، وكان سوق مدينة الجزائر سوقا كبيرا يمتد من باب عزون إلى باب الوادي، وعرف بكثرة دكاكينه التي تكدس البضائع، ومثل قسنطينة في عهد صالح باي وصل عدد الأسواق بها إلى 28 سوقا وسويقة، إلى جانب أنها اعتبرت ملتقى القوافل التجارية التي تجوب أنحاء الشرق الجزائري، وتربط قسنطينة بالجزائر[3].

وكانت الأسواق اليومية تحت رقابة السلطة المركزية فيتم معاقبة كل من يخالف القواعد حتى لا يكون هناك نوع من التدليس في البضائع أي كتمان عيب البضاعة وإخفاؤه عن المشتري، أو التطفيف في الكيل والميزان [4]، كان هناك موظف لعب هذا الدور وهو المحتسب وكان من المغاربة (Maure) وهو يمثل شخص القانون فتولى أمور الموزونة والكيلة وأسعار في البلاد، إلى جانب وكيل الحرج الذي يقوم كل يوم بدورة على الحاضرة لتنظيم وتضبيط أسعار السلع الغذائية مثل مراقبة عمل الخبازين من وزن وكيل وتسعيرة الخبز، وفي حالة ضبط الغش تصادر تلك السلعة وتوزع على الفقراء، إلى جانب عقوبة مادية والمتمثلة في ضرب المخالفين بالعصا[5].

وساهمت الطرق البرية ذات الاتجاه الأفقي الرابطة بين شرق البلاد وغربها، في ظهور عدة مناطق كمراكز للتبادل التجاري أو أسواق تتلقى فيها القبائل كالطريق التلي الواصل بين تلمسان والجزائر وقسنطينة، وطريق الواحات الصحراوية المنطلقة من تافلالت والرابطة بين عين صالح ومتليلي وورقلة وغات، والطريق الرأسي الذي يربط بين التل والصحراء، فنتج عن هذا التبادل بين الشمال والجنوب ازدهار بعض المراكز العمرانية الواقعة على طول خط الطريق التجاري كبوسعادة والبرواقية وبوغار وبسكرة، وازدياد أهمية أسواق التبادل الموسمي، كما كانت مراكز لتبادل

([1]). حليمي ، المرجع السابق ، ص 316.

([2]) . الزبيري، المرجع السابق ، ص 130.

([3]) . الهادي، المرجع السابق ، ص 82.

([4]) . العنتري، المصدر السابق ، ص 73.

([5]) . de paradis, Alger, P60.

المعلومات وأحوال المناطق كسوق اللوحة قرب تيارت والربايع جنوب التيطري والعثمانية قرب قسنطينة [1]، وكذا سوق علي خوجة الواقعة ببلاد القبائل عند ملتقى وادي الكلاب ووادي عمراوة وترجع أهمية هذه السوق فضلا عن تحكمها في طرق المواصلات ومساعدتها على مراقبة القبائل الممتنعة ببلاد جرجرة [2].

وبالمناطق الجنوبية الصحراوية كانت بها أسواق كبيرة تستقطب ال سكان مثل تيميمون التي كانت بها سوق كبيرة للتمر وغيره من الثمار والحيوانات، إلى جانب سلعة العبيد وتراب الذهب الذي كان يباع بوزن المثقال بالأوقية، وربطت حركتها التجارية مع سكان الطوارق الذين يتصلون بدواخل إفريقيا [3]، كما كان يقوم أهل وادي ميزاب بتصدير العبيد الذي يصل سعر العبد الواحد فيها إلى حوالي 600 فرنك والأنثى مابين 700-800 فرنك، وكان يصل إليها سنويا ما عدده 400 عبد[4]، وريش النعام والجمال والتمر الموضوع على شكل عناقد مغلقة بجلد معز جاف ويتراوح وزنها بين 6 و8 أرطال بسعر أقل من دولار واحد إلى الجزائر، مقابل بضائع مصنوعة [5].

وكانت أسعار السلع ترتبط بالحالة الاقتصادية للبلاد، مع المحصول الفلاحي فإذا كان خصيبا تدنت الأسعار، وإن جدب فالأسعار تلتهب نارها، وما بين الفصول، وهذا ما يؤكده فونتير دو برادي (Venture de paradis) على أن سعر الخروف في الصيف يساوي مابين 5 و 6 ليرات وفي الشتاء يصل إلى 10 و12 ليرة، والأرز ما بين 10 و12 ليرة للقنطار الواحد، والعنب الجاف يساوي 02 ليرة في سنوات الوفرة وحوالي 3 ليرات للقنطار في سنوات القلة، والدجاجة تساوي ثمن بوجو أو خمس دنانير، والعشرة أرغفة من الخبز الجيد المعروف بخبز البزة يزن10 اوقية حوالي 300غ بـ 10 اسبر، ولحم البقر يساوي حوالي 12-14 ليرة والبرنوس الجيد يساوي 4 ليرات[6]، كما ارتبطت الأسعار بقيمة العملة من فترة إلى أخرى وبسبب التراجع المستمر لقيمة النقد بالمنطقة كان يصاحبه بالتوازي ارتفاع مستمر للأسعار [7]، مع تلاعب الحكام بهذه القيمة، وهو ما اثر على القدرة الشرائية لسكان المنطقة.

([1]) . سعيدوني،النظام...، المرجع السابق ، ص38- 39.

([2]) . Aucapitaine (B.H) , Confins militaires de la grande Kabylie sous la domination turque province d'Alger, Moquet, Paris, p 29.

([3]) . الاغواطي، المصدر السابق ، ص 257.

([4]) . Coyne, op.cit, P 203.

([5]) . شالر، المصدر السابق ، ص 112.

([6]).de paradis. Op.cit., p52.

([7]) . لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع: المنور مروش، العملة، الأسعار والمداخيل، ص 95 وما بليها.

وكانت الأسعار تختلف من الحاضرة إلى الريف، فالأسواق في الحواضر كانت مراقبة لذلك لم يكن الاستغلال كبيرا، أما في الريف فالمراقبة ضعيفة فأغرقت الفلاحين في الشقاء وكانوا هدفا للاستغلال، كما أن إنتاجهم كان يستهلك في الضرائب كالعشور والزكاة والحكور (وهو نوع من الغرامة الثقيلة التي تصل أحيانا إلى 28 رأسا من الغنم)، بينما لا تدفع قبائل المخزن المتحالفة مع السلطة سوى 10٪[1].

وكما تعامل التجار عن طريق المقايضة واعتبارها من بين أفضل الطرق الآمنة للسكان، وهذا راجع إلى عدم انتشار النقود الذهبية بكثرة، وحتى المستهلك يفضل الحصول على ما يحتاج إليه مباشرة دون المرور بعملية التحويل المعقدة التي لا توفر الضمانات الكافية للأطراف المتبادلة [2]، إلى جانب قلة العملة النقدية بين أيدي السكان في بعض المناطق مما جعلهم يتعاملون بالمقايضة وهو ما أشار إليه بن الهطال في رحلة الباي مُحَمَّد الكبير عندما تعامل جند الباي مع سكان منطقة تاجموت الذين اشتروا من المخازنية الغنم، ثمانية رؤوس بريال بوجه، والبقرْ أربعة رؤوس بريال بوجه، فدفعوا مقابل المال البرانيس والحياك وحتى التمر [3] وهذا ما يشجع فكرة أن المجتمع الجزائري خاصة في مناطقه الريفية أو البعيدة عن مراكز السلطة وهي الغالبية السوداء فيه، لم تكن تتعامل بالنقود بقدر ما كانت تطمئن لمقايضة السلع.

وحتى التجارة مع دواخل إفريقيا قد وفرت التجارة مع دواخل إفريقيا مصادر مالية هامة، وتعود العلاقة بين تونس وبلاد السودان إلى مراحل ضاربة في عمق التاريخ، استطاعت من خلالها تونس أن تنمي تجارتها معها خصوصا في القرن الثامن عشر، وشكلت تونس أهم محطاتها التجارية التي تفد عليها حاملة معها بضائع إفريقية، درّت عليها بأموال كبيرة، وازت في أهميتها تلك الموارد المالية التي كانت تدخل عن طريق تجارتها مع الجزائر[4].

وكان الاهتمام بهذه التجارة لأنها تحتوي على مادة الذهب خاصة بعد استيلاء الجزائر في سنة 1756م على أهم الذهب التونسي، كما أن الجزائريين كانوا يشترون معظم تأتي به القوافل الإفريقية إلى تونس منه، ما أدى إلى قلة الذهب فيها فاثر على صك العملة الذهبية بالبلاد ما يقرب عن القرن (1756-1855)، كما زودت تلك القوافل تونس بالعبيد الذي كان يقام له سوق بيوم الجمعة في مكان مخصص يطلق عليه سوق البركة، وكانت

([1]) . سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق ، ص 157.

([2]) . الزبيري، المرجع السابق ، ص 137.

([3]) . بن الهطال، المصدر السابق ، ص69- 70.

([4]) . الإمام، المرجع السابق ، ص302

تصدر إلى داخل إفريقيا الاجواخ، الكتان، الموسلين، الحرير الخام، المنسوجات، الجلود الجاهزة لصناعة الأحذية، مواد البقالة وصبائغ مختلفة لصباغة الحرير وكانت تصدر ما مقداره 50 قنطارا إلى دواخل إفريقيا[1].

3. التجارة الخارجية بين الجزائر والأقطار المغاربية:

شهد هذا النوع من التجارة نشاطا مطردا مع الدول الأوروبية في فترات تاريخية متباينة، كما تحكمت فيه نوعية العلاقات الخارجية بين الحرب والسلم، فازدهرت تارة وركدت في أخرى، وقد عملت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا على ضمان استمرارية التعامل مع هذه المنطقة وتزويدها بما تحتاجه في أغلب الأحيان، أما مع الدول المشرقية فلم تكن بنفس الشدة والحدة، فلم تنشط التجارة الجزائرية مع الشرق الأوسط إلا في بداية القرن 19م وهذا لتأزم العلاقات بين الجزائر ودول أوربا، حينئذ أخذت الجزائر تستورد بضائعها من بلاد المشرق، كما ربطت علاقات تجارية مع دول الجوار.

ولذلك شهد الميزان التجاري للجزائر عجزا قدره شالر بـ 927000 دولار اسباني سنة 1822م[2]، أي نسبة العجز بلغت 200% من قيمة الصادرات وهو مبلغ ضخم تدفعه الدولة، في ظل تردي الأوضاع العامة للبلاد وارتفاع أسعار المواد المستوردة من الخارج وقابلها انخفاض في أسعار المواد الأولية المصدرة، كما تزامن مع تراجع في المحاصيل الفلاحية والإنتاج الحرفي بصفة عامة نتيجة التوجه نحو إنتاج معد لاستهلاك محلي فقط وليس تجاري[3].

1.3. مع طرابلس الغرب:

عمد الحكام الأوائل للأسرة القرمانلية إلى استتبات الأمن حتى تكون هناك حركة اقتصادية مثمرة ينتج عنها زيادة في المحاصيل الفلاحية واهتمام بالحرف والمهن التي توفر بدورها عدة سلع، تكون كقاعدة في قيام عملية التبادل التجارى داخل وخارج البلاد، التي وصلت أوجها في منتصف القرن الثامن عشر، وزادت في عهد علي باشا الذي فاز بحب رعيته له حتى قال عنه قنصل بريطانيا روبرت هوايت "اعتقد سيدي أن الشمال الإفريقي لم يشهد إلا نادرا – إن لم يكن أبدا – مثل هذا الأمير الذي بدأ حكمه محاطا بحب واحترام عام من كل طبقات المجتمع." [4] وهو ما جعل التجارة في عهد علي الباشا تصل إلى أوجها، فازدهرت الحركة التجارية الداخلية والخارجية، سيطر

([1]) . الإمام، المرجع السابق ، ص302- 304.

([2]) . شالر، المصدر السابق ، ص 103-104.

([3]) . سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في ...، ص 82.

([4]) . كلود زليتنر ، المرجع السابق ، ص355- 362.

عليها ننوع معين من السلع وهو العبيد حيث مثل ثلث الحركة التجارية العامة لطرابلس، وكان اغلبها يوجه نحو التصدير وهذا لطلب الأسواق العالمية عليها في تلك الفترة، وكانت تجارة الرقيق محصورة على المسلمين والعثمانيين[1].

كما أن التجارة الخارجية التي قد سيطرت عليها للدول الأوربية، وذلك على إثر المعاهدة التي وقعت بين الدولة العثمانية وفرنسا في 1535م، قصد تفعيل دور التجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وبموجبها أصبح للفرنسيين حق رسو بواخرهم في موانئ الايالات العثمانية، وكان الفرنسيون يتمتعون بامتيازات في أراضي الدولة العثمانية، كما كانوا يخضعون لقوانين حكومتهم في الموانئ العثمانية، وليس لقوانين الدولة العثمانية، وأصبحت هذه المعاهدة مقياسا لمعاهدات أخرى، مع دول أوربية، كانجلترا وعند ضعف الدولة العثمانية تحولت هذه الامتيازات إلى نموذج مؤسساتي أوربي يعمل على تقويض الدولة العثمانية، غير أن تونس لم تتقيد دائما بنصوص هذه المعاهدات المبرمة مع الدولة العثمانية، فغالبا ما ترفض تلك الامتيازات وتملي شروطها في شكل معاهدة مع الدول الأوربية[2].

كانت الجزائر توجه متنجات غذائية نحو طرابلس وعلى راسها الحبوب من قمح وشعير، كما كانت توجه كميات منها بحراخاصة في السنوات العجاف التي تعرفها طرابلس، الى جانب الشمع والزيت والصوف والاغنام والابل والتبغ والاقمشة القطنية واهم تلك المبادلات سلعة العبيد[3].

2.3. مع تونس:

وفي عهد حمودة باشا (1782-1814) عمل على تنشيط التجارة ، فحدد الرسوم التي تجبى على البضائع المستوردة من أوروبا بـ 11٪[4]، كما قام بخطوة جريئة بحيث أول من سمح في العهد العثماني للدولة التونسية وللتونسيين بتصدير المنتوج الفلاحي التونسي نحو أوروبا بصفة مباشرة ورسمية وعلنية، نتيجة السياسة الفلاحية التي قام بها، ومصالحته للدول، أوجدت أسواق خارجية، فاهتم الفلاح التونسي بفلاحة الأرض وتهافتوا على خدمتها لما تدره عليهم من أرباح وهذا ما جعل القنصل البريطاني يقول في هذا الصدد في احدي رسائله:".. بسبب التصدير إلى الخارج على يد التجار الأجانب، نشطت البلاد التونسية اقتصاديا، لقد عم الناس حماس شديد، بل

([1]) . علي بن إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 233.

([2]) . بنت معجب بن سعيد حامد، المرجع السابق ، ص 167.

([3]) . إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى...، المرجع السابق ، ص 180.

([4]) . بنت معجب بن سعيد حامد، المرجع السابق ، ص ، ص 175.

لهفة عارمة على تعميم زراعة الحبوب على مختلف أنواعها، وكذلك الزيتون، وذلك لما لهذه المنتوجات من أرباح طائلة لازدياد الطلب الخارجي المستمر، بسبب تضاعف الكميات المصدرة سنة بعد سنة." حتى غدت المنطقة المحصورة بين صفاقس وعنابة كلها حقول للقمح [1].

فوفرت هذه التجارة مداخيل مالية هامة للايالة، وهذا ما يوضحه ميزانها التجاري الذي وصل إلى حدود 7 ملايين ريال في السنة، وذلك مما تصدره تونس من صنف الشاشية والحبوب والزيوت [2]، وحتى قارناه مع الميزان التجاري لسنتي 1874-1875م حيث قدرت قيمة الواردات بحوالي 6.300.000 فرنك والصادرات بـ 36.000.000 فرنك وكانت فيها الحبوب و الزيوت والتمور والأصواف والصابون وبعض المواد المصنوعة حسب تقدير بيرم الخامس، رغم أن الصادرات بقيت نفسها حبوب، زيوت فإن مداخيلها أصبحت كبيرة، فحقق الميزان التجاري التونسي أرباحا طائلة، مما جعلت الحكومة التونسية تسخر جزء منها إلى الفلاحة والتي قدرها بيرم بـ 900 ألف فرنك[3].

غير أن التجارة الخارجية شأنها شان المناطق المغاربية فقد دخلت في القرن 19م تحت يد الأجانب وانتقلت إليهم التسهيلات الجمركية التي كان الباي وأعوانه يتمتعون بها، فلم تتجاوز الرسوم على السلع الأجنبية الموردة إلى الايالة عن أكثر من 3% إذا كان صاحبها أوروبيا، و 4.5% إذا كان تونسيا[4].

ثانيا. العلاقات الجزائرية المشرقية:

1. مع الدولة العثمانية:

وكانت قافلة الحج المغاربية التي تمر بالأسواق الطرابلسية تجعل فيها نوع من الحركية حتى أن من عادة هذه القافلة أن تخيم مدة الزمن تحت أسوار الحاضرة طربلس ثم تنطلق عبر الصحراء إلى الإسكندرية [5]، فتبيع جزءا كبيرا من البرقان الجيد، الشاشية، اللؤلؤ، العقاقير، جلود الماعز المدبوغة الملونة، الأحذية، الشمع، القروش الاسبانية، التبر [6]

([1]) . الإمام، المرجع السابق ، ص 264-265.

([2]) . نفسه ، ص 297.

([3]) . الثعالبي، المرجع السابق ، ص118- 119.

([4]) . بن جمعة بلقاسم، مرجع سابق، ص 99.

([5]) . توللي، المصدر السابق ، ص255.

([6]) . كلود زليتنر، المرجع السابق ،ص389- 390.

والجلد المراكشي الشهير وكانوا يأخذون من طربلس ما يحتاجونه من مؤن وحاجيات، وبعض السلع كالزعفران، الحرير، الصبغة الحمراء [1]، تراب الذهب، القروش الفضية، الذرة، القمح، الفول، الحديد والرصاص [2].

وعند عودتها تحضر الساتان الفارسي المخطط من كل الأنواع، الشالات، الزبد [3] قماش الموسلين، ريش النعام، البن العربي، اللآلئ والماس والحرير والقطنيات [4]، وهذه السلع المحملة من بلاد المشرق عن طريق قافلة الحج تدخل الأسواق الجزائرية المنتشرة عبر طريق الحج.

لذا فقد كانت المبادلات التجارية بين الولايات العثمانية تتم بسهولة نظرا لوقوعها تحت سلطة واحدة، مع انعدام الحواجز الطبيعية الصعبة، فكانت هذه المبادلات سواء بين الولايات المغاربية أو مع الايالات المشرقية تتم عن طريق القوافل البرية أو الطرق البحرية وبكل سهولة[5].

2. مع البلاد العربية:

فمن خلال ما سبق فقد طبع بصفة عامة على التجارة المغاربية المواد الكمالية الترفيهية وارتبطت بموسم الحج، ودرت أرباحا وافرة على المساهمين فيها مما جعل رأس المال المستثمر عن طريق القوافل الذاهبة إلى المشرق يبلغ مليوني فرنك في العهد الأول للاحتلال [6]، كما أن التجارة في المنطقة كانت مزدهرة بين تونس والجزائر أكثر منها مع طرابلس لكلا الجانبين، واستفادت تونس من موقعها الوسطي لتروج للتجارة التي عادت عليها بدخل وفير خصوصا أثناء الأزمة الجزائرية الفرنسية، فقد زودت تونس وحتى المغرب الأقصى الجزائر بمعظم ما تحتاجه من منتجات أوربية وغيرها[7].

([1]) .كلود زليتنر، المرجع السابق ،ص389- 390.

([2]) . توللي، المصدر السابق ، ص 365.

([3]) . كلود زليتنر، المرجع السابق ،ص389- 390.

([4]) . توللي، المصدر السابق ، ص 365.

([5]) . بنت معجب بن سعيد حامد ، المرجع السابق ، ص 175.

([6]) . سعيدوني،النظام ...، المرجع السابق ، ص 39.

([7]) . الزبيري، المرجع السابق ، ص143- 144.

المحور الثالث: العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغاربية المشرقية:

أولا: العلاقات الجزائرية المغاربية:

لم تقتصر العلاقات بين الدول المغاربية على الجانب السياسي والاقتصادي فقط، بل تعود الى عمق تاريخي ضارب في القدم، فقد وحدهم الامتداد الجغرافي والجنس الاثيني البشري الى جانب تبنيهم الدين الإسلامي الذي ساعد في تمتينه أهل العلم والدين بالمنطقة فتميزت بعدة خصائص ومقومات ميزتها عن غيرها من شعوب العالم.

1. الخصائص الاجتماعية للمنطقة المغاربية:

يقطن ويعمر جهات بلاد المغرب من شرقه إلى غربه جنس بشري واحد له خصائصه، وهو الجنس البربري ذو الأصول التاريخية القديمة، التي تعود إلى حضارات قديمة فهناك من يرجعها إلى ما قبل التاريخ إلى العصر النيوليتيكي بظهور سلالتي الإنسان المشتي بالسواحل والإنسان القفصي بالدواخل التي تصبح مناطق تنقل الجيتول منذ عصر الحجر المصقول[1]، وعرفت هذه المنطقة بثراء تركيبتها البشرية عبر مر العصور من خلال دخول أجناس أخرى إليها إما مستعمرة أو مستوطنة ومنهم الإغريق الذين سموا سكان المنطقة من غرب مصر إلى المحيط باسم الليبيين، وقد سماهم الفراعنة القدماء بالتحنو [2]، والرومان الذين أطلقوا على سكان هذه المنطقة إسم البرابرة أي الذين استعصوا عن الحضارة اللاتينية، وعند دخول الفتح الإسلامي والعرب إليهم عربوها كما هذبوا هذا المصطلح فأصبح البربر، كما عمموه على كامل سكان المنطقة[3].

فاستقر بالمنطقة في جزئها الشمالي الليبيون وفي الجنوب الجيتول (Gétules)، وقد تمايزا في نمط المعيشة، بين الاستقرار (الحضر) والترحال (البدو الرحل) وكان ذلك وليد البيئة الجغرافية التي يعيش فيها كل قسم، ويرجع النسابة البربر في أصولهم إلى فريقين فريق شمالي وعمر منطقتي التلال والشطوط عرفوا في فترة من التاريخ باسم النوميديين (Numides) والمور وفريق جنوبي عمر الهضاب وجنوبي الواحات والجبال ومناطق الجريد وعرف باسم الجيتول وتميز بالترحال، وعدم الارتباط بالأرض[4].

([1]). محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم(السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1992، ص 27-29.

([2]). مؤنس، المرجع السابق ، ص42.

([3]) . حارش، التاريخ المغاربي ...، المرجع السابق ، ص 27.

([4]) . جوليان ، المرجع السابق ، ج2، ص 356.

وأما فيما يخص نسب سكان المنطقة فيرجع انتساب البربر إلى ولد بر بن قيس بن عيلان كما قسموا إلى قسمين فرع: البربر البتر وهم أولاد مادغيس الأبتر، والبرنس فهم أبناء برنس بن سفجو الذي ينتهي نسبهم إلى حام، ويرجع ابن حزم الذي نفي هذه الأنساب إلى أن البربر من ولد كنعان بن حام بن نوح "عليه السلام" أي أن البربر حاميون إفريقيون، وسانده في ذلك ابن خلدون، فانقسم البربر إلى مجموعتين كبيرتين الحضر وأنصاف الحضر ويسمون البرانس والبدو يسمون البتر[1].

ومن قبائل البرانس نجد مصمودة وازداجة، اوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة، اوريغة لمطة، هسكورة وجزولة، أما قبائل البتر المشهورة نجد أداسة، نفوسة، ضريسة ولواتة [2] بحيث ساهمت التأثيرات الخارجية التي عرفتها المنطقة إلى انتشارهم وتوزيعهم في كافة المنطقة الشمالية لبلاد المغرب وذلك بتعدد فروع تلك القبائل بمرور الزمن.

ورغم كل ما عرفته بلاد المغرب القديم من استعمار أجنبي فإنهم لم يعرفوا من المغرب إلا السواحل، باستثناء ما كان من توغل للرومان والبيزنطيين، حتى جاء الفتح العربي الذي أوغل في دواخل إفريقيا، وعمل الفاتحون العرب على إدخالهم للإسلام ونشره، وفي النهاية أقبلوا على الإسلام وشاركوا في عمليات الفتح سواء في أرض المغرب وحتى في الأندلس وفي جزائر البحر الأبيض المتوسط ودواخل إفريقيا، مستغلين في ذلك خطوط القوافل التجارية المتوجه نحو داخل القارة، غير أن الوضع السياسي الذي احتدم بسبب الاختلاف العقائدي أدى إلى فتن وحروب داخل بلاد المغرب الإسلامي، فلعبت تلك الفتن التي حدثت خلال الحقبة الأخيرة من العصر الأموي إلى تغيير مواطن القبائل البربرية، واختلاطها ببعضها ومع العرب، فنشأت جماعات بربر مستعربة وعرب وبلديين[3].

كما لعبت القبائل الهلالية دور في تقليب الأوضاع في إفريقيا من طرابلس إلى وادي الشلف في منتصف القرن 5هـ /11م، وأوغلوا في نواحيه كلها، وكانت هناك حروب بينهم وبين البربر أثناء قدومهم وانتهت باختلاط الطرفين، وكان هذا من أكبر العوامل في تعريب المغرب، وقد نقل الموحدون جماعات منهم إلى المغرب الأقصى من بني هلال بن عامر بن صعصعة وبني سليم منصور واستقروا بوادي أم الربيع ووادي درعه، فاختلطت الأجناس وتغيرت المواطن وزاد اختلاط القبائل الهلالية بالبربر[4].

([1]) . عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج12، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1996، ص190.

([2]) . موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، ط4، دار هومة للطباعة و للنشر والتوزيع، الجزائر 2001، ص 21-22.

([3]) . مؤنس، المرجع السابق ، ص45

([4]) . نفسه ، ص 62.

فشكلت بلدان المغرب العربي جماعة بشرية، ترجع وترتبط بالحضارة الإسلامية التي تضم وحدة العالم العربي، وهذه الجماعة لها خصائصها الاجتماعية المستمدة من روح الإسلام، مثل الحياة في شكل عائلي مهيكل يشرف على هذه الوحدة الاجتماعية أكبرهم سنا كالأب مثلا أو الأخ الأكبر أو الأم، ورب العائلة ينفق على أفراد البيت ويوجههم نحو التعليم، ويحمي أفراد عائلته كما يتحمل واجباتهم وحقوقهم نحو أفراد العائلات الأخرى ولا تعيش العائلة المغربية منطوية على نفسها بل تتشارك مع العائلات الأخرى في السراء والضراء فيما بينها وتحاول تطبيق ما ورثته عن السلف وبالخصوص من مبادئ وقيم انطلاقا من القرآن الكريم الذي يعد القانون الأساسي والثقافة الأولية والتربية الدينية التي يتعلمها الفرد منذ نعومة أظافره، فالفرد المثالي في المجتمع المغاربي هو الذي يقوم بشعائر الدين ويطبق قوانين الإسلام[1].

وقد زاد في تكميل تركيبة سكان منطقة بلاد المغرب تلك الهجرات من حواضر الأندلس التي وقعت في يد الاسبان، كسقوط مدينة اشبيلية (Seville) سنة 722هـ/1371م وفشل الثورات الأندلسية مثل ثورة جبال البشارات (1569-1570م) التي أدت إلى نزوح اغلب الثائرين البالغ عددهم الثلاثين ألفا بقيادة الباكي إلى المغرب الأوسط[2]، وتخيير سكان غرناطة ونواحيها بين التنصير أو النفي (Inquisition)، وتفضيلهم للهجرة إلى الأقاليم المغاربية[3] ووصلت هذه الهجرات إلى أوجها بعد إصدار قرار طرد الأندلسيين ما بين سنتي 1609-1614م على يد الملك الاسباني فيليب الثالث (philippeIII) ، لتصفية الوجود الإسلامي في اسبانيا، وقد قام بيلربايات الجزائر بدور جليل في ترحيل عدد كبير منهم وتخليصهم من وطأة التنصير، وبذلك نزلوا على جميع سواحل البلاد المغاربية ودول المشرق[4].

حيث أضافت تلك الهجرات عنصر جديد إلى هذه المنطقة ذي خبرة وكفاءة استغلت في تنشيط الحياة اليومية، وأعطت صورة من مجتمع جديد امتزجت معه هذه العناصر الوافدة من الأندلس، التي أثرت ايجابيا على المنطقة

([1]) . حليمي ، جغرافية ...، المرجع السابق ، ص 52-53.

([2]) . Daumas.M et Fabar. M , La Grande Kabylie études historiques, libraires de l'université royale de France, Paris 1847, p 25.

([3]) . ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 128.

([4]) . نور الدين عبد القادر، صفحات من مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص56.

بمعارفها وعلومها (العمران، الري، الحرف، الموسيقى) وانسجمت مع سكانها مع المحافظة على هيكلتها الاجتماعية والاقتصادية الأصلية، وزاد عليهم من وفد من العثمانيين[1].

وقد أعطى مُحَمَّد بيرم الخامس وصف لتركيبة سكان تونس ويمكن من خلاله أن نعممه على كافة المنطقة المغاربية حيث يقول: " إن الأهالي ينقسمون إلى عدة أقسام فالأول الأصليون من البربر والثاني العرب وهم الذين قدموا عند الفتح من بعد على أجيال عديدة، والثالث الأندلسيون وهم الذين قدموا عند استيلاء الاسبنيول على بلادهم، والرابع الترك وهم الذين وردوا عند استيلائهم على تونس، ثم من ورد منهم بعد ذلك، والخامس السودان وهم الذين جلبوا من دواخل إفريقيا لبيعهم." [2] فقد أوجز مُحَمَّد بيرم كل العناصر التي شكلت التركيبة السكانية من الأصليين والوافدين عليها، ونجد هذه العناصر البشرية الوافدة انتشرت في كافة المنطقة المغاربية ولم تقتصر على إقليم دون الآخر، ويدين غالبية سكان المنطقة بالإسلام.

وقد حافظ المجتمع المغاربي على ما ورثه من علاقات اجتماعية مبنية على أساس ديني الذي صهرته وصاغته السنون منذ أمد طويل، وسيرت الحياة الاجتماعية على مستوى الحي أو العشيرة أو القرية التي تعود في حل قضاياها إلى الشيخ الذي يختاره كبار القوم من بين صفوفهم، وأسندت الوظائف ذات المصلحة الكبيرة إلى الأتراك مثل منصب القاضي الكبير الذي كان يتولاه قضاة مبعوثون من طرف السلطان العثماني باسطنبول مع الحفاظ على خصوصية المجتمع المغاربي.

2. هجرة الأفراد والجماعات:

نتيجة عدم وجود حدود أو حواجز جمركية بين المغرب والمشرق العربين فالإنسان الذي يقطن في هذه المنطقة من العالم يعتبر المنطقة الواقعة من الخليج إلى المحيط كلها بلاده أو بالأحرى البلاد الذي يسودها ويسوسها الإسلام هي دياره مهما بعدت أو قصرت، لذا فالإنسان الجزائري أو التونسي أو الفاسي أو المراكشي أو الطرابلسي أو المصري أو العثماني لم يكن يرى في نفسه نظرة الفرد الحالي للمناطق، لذا كانت ارض الله واسعة حينها، فكانت حركة الأفراد والجماعات ولم تتوقف إلى غاية اليوم.

فهذه الحركة ربما هي انتقال فرد إلى منطقة ما لفترة ثم يعود ومنها من لم يعد ومنها من ذهب لوحده وأخر مع جماعة أو أفراد أو في قافلة أو ركب أو غيرها من الحركات، ومنها من خرج من أرضه طالبا للعلم ومنها من خرج

([1]) . مُحَمَّد بيرم، المصدر السابق ، ج2، ص 126.

([2]) . بنت معجب بن سعيد حامد، الصلات...، المرجع السابق ، ص 253.

للحج وآخر لتغيير المقام ومنها للرحلة الاستكشاف ومنها من خرج لسبب الحاجة وآخر هروبا بنفسه من الفتن أو الحروب المحدقة أو الانتقام لفعل قام به، لذا فكل حركة لها غاية ولا يمكن أن نجمل كل تلك الحركات، ولكن نركز على البعض منها خاصة الحركات العلمية طلبا للعلم او هجرة العلماء.

فنجد تلمسان نهاية ق 15م دخلت في نفق من الاضطرابات السياسي والحرب الأهلية، أضعفت السلطة المركزية بها، حتى صارت لقمة سهلة للتدخل الأجنبي، وزاد الطين بلة اتصال الحكام الزيانيين باليهود الذين سخروهم كوسطاء بينهم والأسبان كأبي عبد الله مُحَمَّد، وصخرهم لخدمته في الجانب الاقتصادي والعسكري، فكان هذا جانبا لانتفاض العلماء والأهالي ضده بإيعاز العثمانيين سنة 949هـ/1542م وتولية أخيه أبي زيان احمد الثاني [1].

الأمر الذي أبقي الأمن مفقودا في تلمسان وغيرها من الحواضر والبوادي بالمغرب الأوسط، في ظل الصراع الأسري على العرش بين مُحَمَّد وأبا زيان وجعل تلمسان والغرب الجزائري عموما بين اخذ ورد بين الأسبان والعثمانيين، وأيضا مرتعا للقوات الاسبانية الغازية التي عربدت وسفكت وعاثت فسادا فيها [2]، هذا الواقع السياسي الذي يشهد حالة لا امن، انعكس بدوره على الواقع العلمي الذي افرز عدة نوازل أمام الاستصراخ بالعدو، واستباحة دم المسلمين بين الأطراف المتصارعة.

وفي هذا الوضع المتأزم والمضطرب لجأ العلماء لجيرانهم السعديين وطالبوهم بالتدخل لتصحيح الوضع، ولما لا تحقيق مسعى المرينيين؟، الذين سعوا في ضمها إليهم، فكانت حملة مُحَمَّد الشيخ السعدي في 1550م على تلمسان [3]، لتتراجع تلك القوة أمام القوة العثمانية، ويتم عزل أبا زيان احمد الثاني ويولى مكانه أخاه الحسن بن مُحَمَّد بن عبد الله الثاني كآخر حاكم دون قيد أو شرط للعثمانيين [4].

وربما يكون من بين العلماء التلمسانين الذين طلبوا ونادوا بحملة مُحَمَّد الشيخ ممن على تلمسان لعام 957هـ/1549م العلامة ابن جلال، وهذا لتخليصها من الفوضى السياسية الضاربة فيها بين العثمانيين والأسبان بأيدي زيانية، ونتيجة انهزام الحملة السعدية، فإن من الأكيد أن العثمانيين ما كانوا ليغفروا ذنبا مثل هذا، فكان حريا به مع غيره الخروج مع الحملة المتقهقرة نحو المغرب فدخلوا بذلك فاس واحتلوا مناصبها، وسيتلاحق أعيان حاضرة تلمسان إلى الحاضرة الادريسية في هجرتين كبيرتين، أولاهم ا تمت أيام السلطان مُحَمَّد الشيخ المهدي

---

[1]. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002م، ص 77.

[2]. نفسه، ص 78-79.

[3]. القادري، نشر المثاني...، ج1، المصدر السابق، ص 125.

[4]. فيلالي، المرجع السابق، ص 78-79.

عام 961هـ/1554م، وحدثت الثانية على عهد ابنه السلطان عبد الله الغالب عام 968هـ/1562م، وهذا في إطار التنافس العثماني السعدي على غرب بلاد المغرب [1].

كل تلك الأمور السياسية والعسكرية أنتجت ظاهرة حركة هجرة جماعية للعلماء من تلمسان إلى مختلف البقاع، لذا كان خروج وهجرة العلماء كأحسن حل وأفضل سبيل لهذا الوضع الذي يحتم عليهم إبداء مواقف حازمة تكون في غير صالح هؤلاء الحكام، فكان البحث عن المكان الآمن واقرب محطة علمية على مقربة من تلمسان هي فاس تلك المدينة التي أغرت العديد من العلماء للنزول بها، منذ تأسيسها وجعلها مكان استقرار وإنزال الرحال، لذا المنجور في فهرسته لأساتذته فإنه يشير إلى دخول جماعة من فقهاء تلمسان على فاس، وتصدرهم للتدريس فعبر عن ذلك بقوله:"وسمعت أيضا من جماعة ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان"، وهو يدل على هجرة عدد ليس بالقليل نحو المغرب والاستقرار به، وما حدث لتلمسان من تراجع ثقافي وحضاري في الفترة العثمانية لخير دليل على خروج خيرة علمائها منها، وتراجع مرتبتها العلمية أمام حواضر أخرى مثل مدينة الجزائر مركز الحكومة الجديد بهذه الإيالة العثمانية[2].

وهناك قبائل هاجرت من أماكنها واستقرت بالدول الجوار مثل الشراكة والحياينة الذين استقروا بجوار فاس منذ القرن السادس عشر ودخلوا في خدمة الملوك السعديين والعلويين، فكانوا جندا لهم، وعلى الجهة الشرقية فقد هاجرت من تونس أولاد حداد والمهيات الذين نزلوا بواد سوف [3]

العلاقات الجزائرية المشرقية:

1. الروابط الاجتماعية بين الجزائر والدولة العثمانية

بسبب توافد وتمازج وتداخل الأعراق والأجناس ببلاد المغرب عبر عصور وفترات تاريخية طويلة، فان صورة المجتمع المغاربي في الفترة العثمانية، كانت تتكون من عدة شرائح أو طوائف اجتماعية فمنها من اشتغل بمهن محددة ومنها من اشتهر بمهارات خاصة اكتسبتها مع مرور الزمن، وهي تنقسم إلى طبقات رئيسية تؤلف طوائف أثنية ومجموعات سكانية متميزة بوظائفها ومهامها ومكانتها الاجتماعية ومنهم فئة العثمانيون الذين دخلوا المنطقة

---

[1]. عبد الله نجمي، "ابن جلال"، عن معلمة المغرب الأقصى، ج9، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر لمطابع سلا، سلا 1419هـ/ 1998م، ص 3052.

[2]. أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1396هـ/1976م، ص 78.

[3]. صورية حصام، العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، الجزائر السنة الجامعية 2012-2013م، ص 78.

المغاربية في فلك الدولة العثمانية، كما اعتبروا رابط بين سكان المنطقة والاستانة وهو ما أعطاهم امتياز تسيير وتسيس المغرب العثماني، واغلب هؤلاء العثمانيين هم موفدون أو جند تم تجنيدهم من الأراضي العثمانية المشرقية، فكونت طبقة متميزة مثلت الطبقة العليا في الهرم الاجتماعي، تضم ولاة ذو مناصب مهمة في الايالات العثمانية[1]، من باشاوات، دايات، بايات، رياس البحر رؤساء الجند، الجند الانكشاري والأعلاج الذين سيطروا على طائفة رياس البحر وكانوا قادة لهذه المنطقة وما أكثرهم باعتبار أنهم من أصول أوروبية مرتدة عن دينها للإسلام، أما الانكشارية فلعبت دورا بارزا في سياسة الولايات العثمانية بشمال إفريقيا وسيطرتها على أهم المناصب[2].

فقد تميز العثمانيون عن غيرهم باللباس والمظهر والوظيفة [3] فابعدوا سكان المنطقة في الوصول إلى أي وظيفة هامة في البلاد[4]، لذا حافظت هذه الفئة على مكانتها المتميزة بإبقاء الهيمنة العثمانية على المناصب الحكومية وحماية تقاليدها، من خلال استقدام بعض الدفعات من الأناضول للعمل في الأوجاق كجند انكشاري[5].

2. العلاقات الاجتماعية الجزائرية المشرقية

لقد هاجر العديد من الجزائريين نحو المشرق لأسباب مختلفة منهم من توجه لطلب العلم فاستقر بمصر بمحاذاة الجامع الأزهر حتى كان لهم رواق عرف برواق المغاربة لارتداد أهل المغرب ومنهم الجزائريون فأفادوا واستفادو ا، كما استقبل عددا كبيرا من طلبة العلم والعلماء الجزائريين، وهذا بحثا عن العلم وكبار العلماء لاهتمام السلاطين بهم ، فظل عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه[6]، ومن الذين درسوا به العلامة احمد المقري وأخرهم العالم محمود العنابي الذي خرج طريدا من الجيش الفرنسي ليحق به ابن الكبابطي.

ومنهم من توجه إلى مكة والمدينة لأداء فريضة الحج فاستقر هناك، وهناك من مارس التجارة وغيرها من النشاطات والمهن، ومن العوامل التي ساعدت الجزائريين على الهجرة والرحلة نحو المشرق نوجزها فيما يلي:

([1]) . بنت معجب ، المرجع السابق ، ص 255.

([2]) . علي مفتاح إبراهيم منصور، تاريخ ليبيا الثقافي والديني والاجتماعي من خلال الرحالين العرب والأوربيين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر 1700-1800م، العام الدراسي 2006-2007، قسم التاريخ، الجزائر، ص 93.

([3]) . أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث وبداية الاحتلال، م3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ص51.

([4]) . بايسونال، الرحلة، ص 118.

([5]) . ناصر الدين سعيدوني،النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 42- 43.

([6]): عبد الرحمن الأعرج، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية(ق7-9هـ/13-15م)، ط1، النشر الجديد الجامعي الجزائر 2015م، ص 175-176.

- تعلق الجزائريين ببلاد المشرق عامة والحرمين الشريفين خاصة، والشوق الى زيارة تلك الأماكن المقدسة ولما الاستقرار فيها ومجاورة خير البرية.

- غلب على الفرد الجزائري طابع التدين لتمسكه بالدين الإسلامي والسعي الى تجسيده في الواقع.

- انتشرت الطرق الصوفية خلال العهد العثماني وانتشار الزهد والعزوف عن ملذات الدنيا والتوجه إلى العبادة والتصوف وزيارة شيوخ الزوايا لأخذ البركة في المشرق[1].

- ازدهار الحياة العلمية والأدبية ونشاط حركة التأليف بفضل تشجيع بعض الحكام مثل الداي مُحَمَّد بن عثمان باشا (1766-1791م) ومُحَمَّد الكبير باي (1779-1796م)

- اضطراب الأوضاع الداخلية والتهديد الخارجي ساهم في حركة الهجرة والرحلة نحو المشرق

- إيواء طلبة العلم واستقبالهم في المراكز والحواضر العلمية بالمشرق ساعد على طلب الرحلة العلمية مع بساطة شروط الالتحاق بالتعليم وتحقيق شرط الإيواء خصوصا بالأزهر الشريف.

- ترحيب العلماء بطلاب العلم الوافدين عليهم، وتمتع الطلبة بحرية اختيار الأساتذة الذين يدرسون عندهم وحرية الانتقال من شيخ لآخر لإتمام عملية التعليم وطلب الإجازة[2].

لذا كانت الرحلة والخروج من ارض الوطن الى المشرق قصد أداء مناسك الحج او لطلب العلم او الخروج بسبب الوضع السياسي والاستقرار بالمشرق متحملين في ذلك المتاعب والصعاب، ومن بين تلك الرحلات المدونة عند الجزائريين نجد رحلة الشيخ احمد المقري الحاملة لعنوان :"الرحلة الى المشرق والمغرب"، الى جانب الكتاب الذي راج وذاع صيته كتاب الذي اشتهر باسم:" نفح الطيب"، وعندنا كذلك من العلماء الذين خرجوا من الجزائر عيسى الثعالبي ويحي الشاوي النايلي المليانى وعبد الله بن عمر بن موسى البسكري[3].

---

[1]: قرود مُحَمَّد، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي خلال القرن 11هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 2010م، ص 56.

[2]: نفسه، ص 57.

[3]: سعد الله، تاريخ الجزائر..، ج2، ص 388.

المحور الرابع: العلاقات الثقافية والدينية الجزائرية المغاربية والمشرقية

أولا. العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية:

بلغت الحواضر العلمية بالمنطقة المغاربية في الفترة الحديثة مرتبة علمية مرموقة ضاهت بها تلك التي كانت بالمشرق، فظهر بالمنطقة المغاربية حركية في الحواضر العلمية وخاصة بفاس ومراكش والجزائر العاصمة وتونس وحيوتها، ما أنتج نوع من الخروج في البحث عن العلم فيما عرف بالرحلة العلمية، حتى أصبح طلبة العلم أينما يسمعون بعالم ذاع صيته وعلمه يتوجهون إليه لطلب العلم منه، مثل سعيد قدورة بالجزائر العاصمة او تلميذه سعيد المقري بتلمسان وغيرهم، أنتج من ورائها تواصل ثقافي وارث حضاري كبير من خلال تلك المراسلات أو المناظرات أو المحاضرات أو الألغاز التي تم تسجيلها وقرضها.

وساهمت المؤسسات الثقافية بالبلاد المغاربية من تنمية الروابط فيما بينها من خلال تلك المساجد الكبرى المنتشرة بالمنطقة وكانت ملتقى لاهل العلم والمذاكرة والتعلم والتعليم والتعرف على أمور الدين والاستزادة فيه والرحلة في طلب العلم من جهابذة العلماء وأيضا الزوايا التي كانت مراكز للتعليم والعبادة، فكانت المساجد والزوايا تلعب دور الكتاب والمدرسة[1].

1. العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (1519-1830م)

يمثل الجانب الثقافي النخبة المثقفة في أي مجتمع، والجزائر في الفترة العثمانية قام رجال العلم والفقهاء بها بعدة مهام منها السياسية والدبلوماسية لانهم هم المؤهلون لها في شكل سفارات أو وفود، وهناك عدة علماء قاموا بهذه المهمة وأثبتوا علمهم وكفايتهم وحتى موهبتهم، وقد اتسم هؤلاء السفراء بالنباهة، والنبالة وحسن الإبانة [2]سداد الرأي، حسن الخلق، والمظهر، والتطيب، ولبس النفيس ومعرفة باللغات لأنهم محط أنظار ورمق، وحذق لأنه ربما يقع في مواقف محرجة عليه الخروج منها سالما مظفرا[3]، فقد اختار السلطان المنصور السعدي في سفارة للاستانة فيها مُحَمَّد بن علي الفشتالي(ت1031هـ/1621م) وسفارة إلى مراد الثالث فيها الكاتب أبو العباس أحمد بن علي الهوزالي رغم ذلك فقد وفد على المغرب وفادات علمية متقطعة طوال العصر الحديث وخاصة في القرنين 10-11هـ/16-17م

([1]) . احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، ط خ، دار القبة للنشر، الجزائر 2007، ص 11.

[2]. أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، در وتح: د.عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، ص66.

[3]. التازي، جامع القرويين...، المرجع السابق، مج2 ص 448.

ودخل إليه علماء من الأندلس ، الجزائر، تونس،مصر والشام والحجاز، إضافة إلى السودان، كما زاد علماء من تلمسان ووهران والمدينة الجزائر قسنطينة عنابة وتونس بسبب الضغط العثماني عليهم، فتوجهوا الى المدن المغربية ومنها فاس بالخصوص، فاعتنى الأشراف بهم، وغشوهم بالعطايا والجود من كرمهم ما نزع عنهم وحشة الغربة ودفع بهم الى الانكباب على التدريس والتاليف[1].

وبسبب الأمن والاستقرار فقد تمازجت تلك الدفعات من الوفود وذابت داخل المجتمع المغربي وأصبحت حلقة من حلقاته المتعاقبة بأجيالها وبذلك تكونت العناصر العلمية المغربية والطارئة وتكونت مدرسة محلية متميزة في شتى الميادين الخاصة بالمعرفة وظلت قائمة للان ، من أهم أصلا منها، لان الهجرة حولت الى مراكش، حتى ان احمد المقري عندما دخل المغرب لاول مرة عام 1009هـ/1600م لم مكث بفاس الا أسابيع ليتوجه الى مراكش، احمد المقري كان احد احفظ الثلاث حفاظ بالمغرب[2].

احمد بن مُحَمَّد المقري (ت 1040هـ/1631م) وقد قرر الاستقرار بها بعد رحلته التي قام بها خلال 1009-1010هـ/1600-1610م في اوج عطاء الدولة السعدية، وظل متخفيا ودخل زاوية دلاء، لتسند له الامامة والخطابة بجامع القرويين وعاش بانسجام تام مع قاضي الجماعة بفاس ، وقد عبر الشيخ ابو عبد الله مُحَمَّد بن احمد ميارة، وكان احد طلبة العصر السعدي الاخير أقر على صعوبة طريقة حك المسائل، ومقارنتها بغيرها إذ قال:"كنت اجلس بمجلس احمد المقري فاجد العلم كله واضحا، فاذا جلست بمجلس الشيخ ابن عاشر كان كله مشكلا"[3].

والشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن جلال مفتي وخطيب جامع القرويين: (توفي في 981هـ بفاس) حلاه المنجور في فهرسته بالفقيه الموحد المشارك المفتي الخطيب، درس الفقه والحديث والعقائد والادب، وقد اخذ عن جمله من علماء العصر وفقهائه من امثال الفقيه المحصل ابي عثمان سعيد المنوبي والمحقق ابي العباس احمد بن طاع الله، والنوازلي ابي مروان عبد المالك البرجي وغيرهم، كان ذا تؤدة وسكون وهمة وسخاء، استقر في فاس وتوفي بها في الثامن رمضان من عام احدى وثمانين وتسعمائة، وفي دوحة الناشر الذي عاصره فهو المدرس وامام علم الكلام دخل فاس في عهد السلطان عبد الله مُحَمَّد الشيخ فقلده الفتوى بها، كما تولى التدريس والخطابة بجامع الاندلس ليتحول نحو القرويين، وكان له سمت حسن وسكينة ووقار وحفظ مهجة، وكان من المعمرين في الرياسة حتى اثقله الهرم وانتفع الناس به، واخذ عن ابي عبد الله بن موسى، احمد بن زكريا المغراوي، واحمد بن يوسف الملياني، وقد

---

[1]. التازي، جامع القرويين...، المرجع السابق، مج2 ص 448.

[2]. الفشتالي، المصدر السابق، ص66.

[3]. حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج2، ص 339.

ولد ابن جلال بتلمسان سنة 908هـ ورحل منها لفاس سنة 958هـ وخطب بجامع الاندلس ثمان سنين ثم بجامع القرويين ثلاثة عشر سنة ومفتيها، وكان امام الائمة، وكان عمدة في تحرير عقائد التوحيد بفاس ماهرا بها بشهادة العامة والخاصة مثل اليسيتني، كما اختلف في وفاته بين الاحدى أوالثمانين،كان عارفا بالمنطق والعقائد والبيان والفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم، كان متوليا القضاء بفاس في اواخر رجب 962هـ وضريحه بالقرب من سيدي أبي غالب، وكان ابنه من العدول المبرزين بسماط العدول وهو الفقيه العدل عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن جلال في 23 جمادي الاولى 1047هـ، وكذا حفيده الفقيه العدل احمد بن عبد العزيز ابن جلال في رمضان 1056هـ [1].

ظلت فاس المدينة العلمية التي تستهوى العلماء فنزل بها العديد من العلماء الجزائريون الذين أفادوا واستفادوا

ومثلوا احد حلقات السلسلة العلمية بتلك الديار التي تضرب اليها اباط الابل خصوصا بعد انتهاء الدولة الإسلامية في الأندلس[2]، والهجمة الأيبيرية الشرسة على السواحل والدخول العثماني إلى الجزائر الأمر الذي جعل فاس محط أنظار علماء تلك الأقطار واستطاعت فاس صهر تلك العناصر المتباينة في بوتقة العلم لتكون منها حلقة أولى في سلسلة طويلة ستتصل عبر قرون، ورغم تلك الانقلابات حافظت على أهم ميزاتها المرتكزة على التعمق في المذهب المالكي والعناية بعلوم القرآن وإدراج ما دخلها من علوم حديثية وعقلية[3]، ومن علمائها:

أحمد الونشريسي(ت914هـ/1508م) من أئمة المالكية، أسندت إليه عديد من الكراسي العلمية الوقفية في أهم مساجد فاس ومدارسها، درس المدونة وفرعي ابن الحاجب وغيرهما [4] وصديقه مُحَمَّد بن أحمد بن غازي المكناسي (ت919هـ/1513م) درس زهاء ثلث قرن بفاس وأسندت إليه الكراسي العلمية بالقرويين، حتى كان له كرسي باسمه، تخرج على يده خلق كثير بحيث كل من عاصره تتلمذ عنه، وتنوعت دروسه فشملت القراءات التفسير الحديث الفقه قواعد اللغة الحساب وقد ألف فيها[5].

ليخلف هؤلاء الأعلام خلف كثير أقاموا للعلم في فاس سوقا نافقا أسهم في إحياء الحياة العلمية أمام إفلاس السياسة والإقبال على العلم مع انحلال السلطة ومنهم: **عبد الواحد بن أحمد الونشريسي** (ت955هـ/1549م)

---

(1). حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج2، ص 340.

2. Berque, « Ville…, Op.cit, P 75.

(3). حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج2، ص 345.

(4). بوركبة، المرجع السابق، ج1، ص 107.

(5).بروفنصال، المرجع السابق، 157-158.

تلميذ ابن غازي، قام مقام والده فأجاد وأفاد في كراسي والده العلمية المسندة إليه بالقرويين وغيرها، درس الفقه التفسير الحديث قواعد اللغة، تضلع في الأدب ويجيد الكتابة [1]، وكان كثير النشاط ينتقل بين القرويين ومسجد عقبة الزرقاء إلى المصباحية[2].

أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني: (ت951هـ/1557م) تلميذ الإمام السنوسي صاحب العقائد الشهيرة والتزم بتدريس الإلهيات وبالأخص كتب أستاذه السنوسي، وأسند إليه كرسي بن غازي في القرويين، بعد وفاة مُحَمَّد بن عبد الواحد الغزال درس العمدة في الحديث والرسالة القيروانية[3].

مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن جلال: ولد ابن جلال بتلمسان سنة 908هـ/1502م، أخذ عن أبي عبد الله بن موسى، أحمد بن زكريا المغراوي، وأحمد بن يوسف المليانى [4]، ورحل منها لفاس سنة 958هـ/1551م مع عبد الله السعدي[5]وخطب بجامع الأندلس ثمان سنين ثم بجامع القرويين ثلاث عشرة سنة ومفتيها، وكان إمام الأئمة، وكان عمدة في تحرير عقائد التوحيد بفاس ماهرا بها بشهادة العامة والخاصة مثل اليستيني[6]، تولى القضاء بفاس في أواخر رجب 962هـ/1555م[7]، وحلاه المنجور في فهرسته بالفقيه الموحد المشارك المفتي الخطيب درس الفقه والحديث والعقائد والأدب، كان ذا تؤدة وسكون وهمة وسخاء[8]، له سمت حسن ووقار وحفظ مهجة[9].

وكان يستدعى من طرف السلاطين السعديين في جملة أعيان العلماء إلى مراكش ويصحبونه معهم وقال عبد الرحمن التمنارتي في الفوائد الجمة أن ابن جلال قدم إلى سوس صحبة السلطان عبد الله الغالب عام 980هـ/1572م، فأقام بها معه مدة عام للإقراء بجامع تارودانت فأخذ عنه فقهاؤها [10]، وقال القادري في المثاني

---

(1). القادري، المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2). المنجور، المصدر السابق، ص 26.

(3). بوركبة، المرجع السابق، ج1، ص 105-106.

(4). بن القاضي، درة الحجال...، المصدر السابق، ج2، ص 214.

(5). القادري، نشر المثاني...، المصدر السابق، ج1، ص 125.

(6).أبي القاسم مُحَمَّد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول، تعريف الخلف برجال السلف، تح: الدكتور خير الدين شترة، ج3، ط3، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة 2013م، ص 1112-1114.

(7). بن هاشم الكتاني، زهر الآس...، المصدر السابق، ج1، ص 284-285.

(8). المنجور، المصدر السابق، ص 78.

(9). بن عسكر، المصدر السابق، ص 123.

(10). التمنارتي، المصدر السابق، ص 96.

أنه قد طالت أيام رياسته العلمية بفاس حتى أسن وأثقله الهرم وانتفع الناس به [1]، وتوفي في 8 رمضان 981هـ/1573م[2].

ومن العلماء الذين عاشوا من بداية القرن الحادي عشر حتى منتصفه وفيها عرفت فاس بقاء أجيال من شيوخ امتدت حياتهم إليه وعلماء شباب تكونوا في المرحلة السابقة، وتحضير جيل جديد يخلفهم، رغم أن هذه الفترة عرفت مابين (1012-1040هـ/1603-1631م) فتنا ومحنا بمدينة فاس والمغرب كانت من أحلك وأشنع فترات لما حدث فيها من تطاحن بين أبناء السلطان المنصور وأحفاده، وتطاول الطامعين وسقوط بعضهم صرعي بفاس وخارجها فهلك الجند والعباد ونفذت خزائن بيت المال [3]، في ظل هذا كثفت الحركة الصوفية نشاطها لإصلاح ما فسد سياسيا وحماية المؤسسات الدينية والعلمية ومنها الزاوية الدلائية والفاسية اللتان لعبتا أدوار مهمة وبروز شيوخ أعلام في هذه الطبقة:

أحمد بن مُحَمَّد المقري (ت1040هـ/1631م) وقد قرر الاستقرار بفاس بعد رحلته التي قام بها خلال 09-1010هـ/1600-1601م في أوج عطاء الدولة السعدية، وفي فتنة المأمون الشيخ ظل متخفيا ودخل زاوية دلاء، لتسند له بعدها الإمامة والخطابة بجامع القرويين بعد وفاة أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الهواري سنة 1022هـ[4] وعاش بانسجام تام مع قاضي الجماعة بفاس، حتى أزعجته الفتنة بفاس فخرج للمشرق.

مُحَمَّد بن أحمد القسنطيني (ابن الكماد) : (ت1116هـ/1704م) العالم العلامة الحافظ الفهامة، فارس المنقول والمعقول، درس في فاس فأفاد وأجاد، وأخذ عنه الجم الغفير، له ملكة في علم الكلام والمنطق والحفظ التام لعلم الحديث والفقه، وكان مرجع لحل مشكلاتهما[5].

مُحَمَّد بن زاكور: (ت1120/1708م) مُحَمَّد بن قاسم بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي عائلة مشهورة بفاس، فكان عالما أديبا نابغة بلده كاتبا شاعرا لغويا مؤلفا من أشهر مؤلفي الآداب من المغاربة [6]، نشأ ودرس

---

(1). حجي، جولات ...، المرجع السابق، ص 269.

(2). المنجور، المصدر السابق، ص 78.

(3). حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج2، ص 363.

(4). القادري، نشر المثاني، المصدر السابق، ج1، ص 291.

(5). القادري، نشر المثاني، المصدر السابق، ج3، ص155.

(6). نفسه، ص202.

بفاس على يد الشيخ مُحَّد بن عبد القادر الفاسي، أحمد بن الحاج، القاضي بردلة، أبي عبد الله القسنطيني، عبد السلام القادري، اليوسي...، وبالجزائر عن الشيخ مُحَّد بن سعيد قدورة، والشيخ عمر المنجلاتي[1].

وله مشاركة في مختلف العلوم وكان ذا ملكة مطبوعة على الإنتاج وحافظة قوية، قال فيه القادري أنه كان يحفظ عدة تآليف منها: تلخيص المفتاح، جمع الجوامع، مختصر خليل كافية ابن مالك... [2]، فقام بإحياء العلوم العربية التي بقيت مهملة منذ قرن كامل، ولشيخه اليوسي بيتان يمدحه ويصف اجتهاده في طلب العلم:

لله دَرُ بن زاكور وشِيمَتـــــهُ *** وما أعَدَّ لجمع العلم من عُدّد

تلقاه في كل ما وقتٍ ولو سفراً*** في جَيبِه آلةُ الكتاب أو بِيَــد[3].

ذلك قيض من فيض العلماء الذين تداولوا على الكراسي العلمية بالقرويين والمدارس والمعاهد التابعة لها، ولكن من الكثرة ما لا يمكن حصره في هذه الصفحات، لهؤلاء الجهابذة من العلماء الذين وقفت عليهم عقارات وأراضي من أجل أداء مهمتهم على خير وجه.

2. العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية الطرابلسية:

اسهم الحكام ببلاد المغرب في تشجيع وتقوية الروابط الثقافية والدينية بين دول المنطقة خلال الفترة الحديثة، فقد كان حكام بالجزائر او تونس او طرابلس الغرب او المغرب الأقصى يبجلون العلماء ويحترمونهم، حتى انهم بالغوا في تعظيمهم واكرامهم وتقريبهم والانعام عليهم فكانت عواصم تلك الدول تعج بالعلماء من مختلف المناطق وخصوصا ان في هذه الفترة شهدت المنطقة هجمة صليبية على السواحل.

تعد العلاقات الثقافية بين أقطار بلاد المغرب أقدم بقدم الإنسان فيها، لذا ففي الفترة العثمانية بالجزائر التي وازتها بالمغرب الدولة الوطاسية والسعدية والعلوية وبتونس الاسرة المرادية والحسينية، فإن العلاقات بين البلدين لم تفتر أو تنقطع، خصوصا في هذه الفترة، لأنها شهدت عدة تغيرات، تمثلت في ذلك التراجع السياسي في نهاية ق15 وبداية ق 16م، مما اوجد تغيير في سدة الحكم في كافة أقطار بلاد المغرب، وزاه ذلك الاحتلال الأيبيري على السواحل المتوسطية والأطلسية، مما ساهم في ازدهار الحركة التصوف في كافة المنطقة، ورفعها راية الجهاد[4].

---

[1]. كنون، ذكريات مشاهير...، المرجع السابق، ج2، ص 1267-1268.

[2]. القادري، نشر المثاني...، المصدر السابق، ج3، ص202.

[3]. كنون، ذكريات مشاهير...، المرجع السابق، ج2، ص 1274-1275.

[4]. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص156.

فكانت مساهمة في إبراز الدول التي ستحكم المنطقة، فالعثمانيين بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب والسعديين ثم العلويين بالمغرب الأقصى، فكان هذا التيار قد سيطر على البلاد والعباد، حتى أصبح أهل العلم من رجال التصوف، فساد قول مهم حينها :" **من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق** "، ومن جمع بينهما فقد تحقق، لذا فسمة هذا العصر هو التصوف بامتياز، الذي ساد الحياة الثقافية في جل الأقطار المغاربية[1]، وعليه فكيف كانت العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب؟ ما مظاهرها؟ وما سماتها؟.

ومن الملاحظ أن الهجرة العلمية كانت من بين ابرز معالم العلاقات الثقافية بين البلدين إلى جانب أن الوفود التي كانت بينهما ترأسها عادة من العلماء، لأنهم مؤهلين لهذا الدور كما أن انتقاء السفراء من طبقة العلماء النابهين، ومن يتوسم فيهم نبالة وحسن ابانة في المهمة الموكلة له ، كما كلف الغزال بهمة نحو الجزائر في عام 1182هـ/1768م قصد تبادل الاسرى بين الجزائر واسبانيا[2].

يعتبر العلماء طبقة مهيأة بطبعها لمهمات السفارة، وهذا بسبب نشاطهم ومهامهم في التعليم أو التكوين فمن أستاذ لأخر يكسبهم الانضباط أمام من يتقدمهم بالخبرة والمركز وممارستهم اليومية لآداب المعاملة والمخاطبات وحفظهم لأخبار الماضيين، جعلهم عنصرا مرغوبا فيه للاستئناس أو إصلاح ذات البين عاملا قويا لتكليفهم بهذه المهام، وفي هذه المرحلة كان يرسلهم الملوك والأمراء بحكم أنهم رجال علم ودين يعرفون على ما هم مقدمين عليه، والبت فيه من إتفاقيات ومعاهدات، حتى أن هناك العديد من المسائل ذات الصلة بمصالح الدولة الإسلامية مع دول أخرى تطرح عدة تساؤلات، كانت فتاوى العلماء الذين يواكبون الأحداث يعالجونها كما تقتضيه مصلحة المسلمين العليا، ويضاف أيضا أن البعض منهم يمتازون بصراحتهم وحرصهم على عدم إخفاء الحقائق لتجعل منهم أشخاصا جديرين بالإعتماد على أقوالهم[3].

وقد نشطت حركة العلماء داخل المنطقة بحثا عن العلم او المكانة او الجاه او المال، لذا ارتاد كثير من العلماء وزاروا بلدان أخرى ومنهم من مكث ومنهم من عاد الى وطنه الام فنجد من هؤلاء العلماء الذين علا صيتهم في المنطقة خلال العهد العثماني وكان لهم دور في الحياة السياسية والثقافية والعلمية وحتى الدينية كـ:

مُحَمَّد الخروبي: أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي الخروبي، ولد بضواحي مدينة طرابلس في بيت علم معروف، درس بمسقط راسه على يد والده علي واحمد الزقزوق ، فبرع مُحَمَّد الخروبي في الفقه والحديث والتصوف، حتى كان من اعلامه

([1]) . الجيلالي، المرجع السابق،ج3، ص156.

([2]) . ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا، ط1، دار البيارق، لبنان1999، ص 156.

[3]. كنون، ذكريات مشاهير...، المرجع السابق، ج2، ص 447.

ببلاد المغرب ككل، ارتحل الى الجزائر خلال العهد العثماني واستقر بها الى وفاته، وقام بالتدريس بها فأفاد وأجاد واستفاد، ولهذا العالم العديد من التأليف خصوصا في التصوف والتوحيد[1].

وحضيت هذه الشخصية العلمية بمكانة مرموقة عند حكام ا لجزائر، حيث اوفدوه مرتين على رأس سفارة دبلوماسية نحو المغرب الأقصى، من اجل تسوية الحدود بين البلدين وكان ذلك خلال سنتي 1552م و1554م في عهد البيلرباي صالح رايس، حيث لقى ترحيبا حارا من طرف المغاربة، كما استغل سفره هذا في إلقاء محاضرات والقيام بمناظرات أبدع فيها وحذق[2].

مُحَّد بن علي السنوسي: مؤسس الطريقة السنوسية في طرابلس الغرب التي حملت على عاتقها محاربة الاستعمار الإيطالي، وكانت حركة إصلاحية تسعى لإخراج الفرد المسلم من هو واقع فيه من حياة تسودها الخرافات والخزعبلات، والعودة إلى الدين النقي على أصوله الأولي لمنهج السلف الصالح، من الكتاب والسنة.

ولد العالم مُحَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي في 22 ديسمبر 1787م ببلدة يلل بالغرب الجزائري، حفظ القرآن وتلقى علومه الأولى في معسكر وتلمسان ومازونة، ليتوجه منها رأسا إلى مدينة فاس نحو جامع القرويين قبلة العلماء بالمغرب ومركز العلم والعلماء فدرس به علوم ا للغة، والشريعة والفلسفة والمنطق والمذاهب، لمدة 7سنوات[3]، ليعود الى وكنه الجزائر ويرتحل في إرجائه طلبا للعلم والوقوف على حالته، ليتوجه لأداء الحج فمر على تونس وطرابلس ومصر ودخل جامع الأزهر، ومنها لأرض الحجاز التي أقام فيها مدة ثم عاد إلى طرابلس حيث أسس لنفسه أكبر زاوية في واحة جغبوب سنة 1856م لمحاربة الوضعية العامة التي آل إليها العالم الإسلامي من ضعف وتراجع أمام تكالب الاستعمار الأوروبي [4] الذي تمكن من تطور أدوات العمل وبناء الجيوش والأسلحة.

كما زار العديد من العلماء الجزائر الحواضر التونسية والعكس ومنهم :

مُحَّد الحفصي القسنطيني: (ت1811م) الشيخ أبو عبد الله مُحَّد الحفصي من علماء قسنطينة، ولد بها ونشأ وترعرع اخذ علومه الأولى في مسقط راسه، كان من حفاظ الحديث، انتقل الى تونس ولازم في جامع الزيتونة مع

([1]) . ناصر الدين مُحَّد الشريف، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا، ط1، دار البيارق، لبنان1999، ص 156.

([2]) . الجيلالي، المرجع السابق،ج3، ص156.

([3]) . صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)، دار البراق، بيروت 2001، ص 183.

([4]) . صالح بوسليم، "حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية"، عن مجلة الحوار المتوسطي، ع5، جامعة بلعباس، مارس 2013م، ص 42.

العلامة صالح الكواشي [1]، الى جانب الشيخ مُحَمَّد الصالح بن سليمان العسيوي الزواوي ويوسف بن معصبي المالكي[2].

احمد بن مصطفى برناز التونسي: (1726م) هو أحمد بن مصطفى بن الشيخ مُحَمَّد بن مصطفى المعروف ببرناز، من اصل تركي وهو احد فقهاء المذهب الحنفي بتونس، اخذ عن الكثير من علماء عصره كسعيد المحجوز وعلي الصوفي وإبراهيم الاندلسي وغيرهم[3]، ارتحل الى الجزائر اين اتصل بالشيخ أحمد بن الساسي وزار قسنطينة واتصل بعلمائها وفاد وأفاد[4].

ومن العلماء الذين زاروا المغرب والمشرق منهم:

أبو راس الناصري:

هو مُحَمَّد بن احمد بن عبد القادر الراشدي، المعروف بابي راس الناصري. ولد في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة قرب جبل كرسطو بالغرب الجزائري. وقد كانت عائلته فقيرة وظل الفقر يطارده حتى قضى نحبه بعد عمر طويل، وقد كانت وفاته يوم 15 شعبان 1238 هـ الموافق لعام 1823م.

استقرت عائلته بسهل متيجة قرب العاصمة وهناك فقد والدته وهو صغير ثم رجع به أبوه إلى منطقة مجاجة حيث اشتغل بتعليم الصبيان إلى أن توفي ودفن بمكان يعرف بأم الدروع، ثم كفله أخوه عبد القادر الذي توجه به إلى المغرب حيث حفظ أبو راس الناصري القران الكريم ثم رجع إلى معسكر فالتقى بالشيخ عبد القادر المشرفي الذي كانت شهرته العلمية واسعة فتتلمذ على يده أبو راس الناصري، وعندما شعر بشيء من الاستقلال العلمي خرج إلى جوار معسكر عند أخيه وتزوج واشتغل بالتدريس وتولى القضاء.

استمر أبو راس الناصري على هذه الحال حوالي سنتين ثم رجع إلى معسكر ومكث بها ستا وثلاثون سنة وهو يمارس مهنة التدريس، فقد اشتهر أمره بين الناس وبلغ من شهرته انه اجتمع عليه أحيانا أكثر من 780 طالبا، وقد رشحه شيخه عبد القادر المشرفي ليكون خليفته في التدريس.

([1]) . عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العهد الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت 1980م، ص264.

([2]) . مُحَمَّد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسين، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1985م، ص 336.

([3]) . نفسه، ص 92.

([4]) . نفسه، ص 95.

كما اشتهر أبو راس بكثرة حفظه حتى انه وصل بكونه إماما في المنقول و المعقول واليه يرجع في الأصل و الفروع، كما يدعى الحافظ لقوة حفظه وحجة في السيرة النبوية لا يفوتهفيها سؤال كما حفظ البخاري متنا وسندا وكذا صحيح مسلم، اعلم أهل زمانه بالتاريخ وانساب العرب العرباء وشيوخ المذهب، حج واعتمر ولقي أشياخا اخذوا عنه واخذ عنهم وفهرسته تشهد له بذلك[1].

وفي 1204هـ الموافق 1790م ذهب إلى الحج لأول مرة والتقى في طريقه بعلماء الجزائر وقسنطينة وتونس ومصر والحرمين والشام، ومن بينهم شيخه أبو الفيض مُحَمَّد مرتضي الزبيدي، الذي مدحه وخصه بالثناء. وأثناء عودته سنة1205هـ من الحج سمع وهو في تونس بالحرب بين المسلمين و الاسبان بسبب وهران، فأسرع بالعودة والاشتراك في الجهاد، وبذلك بدا يؤلف كتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" الذي انته منه في السنة الموالية عام 1206هـ وقد أشار فيه إلى هذه الحرب. وبعد عودته من الحج تقلد وظائف الفتوى و القضاء و الخطابة، ولكنه عزل لأسباب مجهولة سنة 1211هـ. وبهذا الصدد قد خص ثورة درقاوة بكتاب سماه "درة الشقاوة في فتنة درقاوة" وقد أشار إلى ما أصابه من شضاياها ، فتوجه إلى المغرب ووفد على السلطان مولاي سليمان. ثم قام بحجة للمرة الثانية ستة 1226هـ الموافق لعام 1812م، ولم يعد في السنة الموالية فقد عادت عليه هذه الحجة بفائدة علمية كبيرة بعد عشرين ستة قضاها بعيدا عن الاتصال العلماء المشارقة، وفيهم علماء تونس ومصر[2].

وقد خلف أبو راس الناصري قائمة كبيرة من المؤلفات مما جعلته يعتبر من أهم المؤلفين في الجزائر العثمانية، وهذا لتنوع موضوعات كتبه وهى كذالك تدل على تنوع ثقافته وغزارة مادته، من مؤلفاته مذكر:

زهرة الشماريخ في علم التاريخ، در السحابة، فيمن دخل المغرب من الصحابة، درء الشقاوة في حروب درقاوة، الوسائل إلى معرفة القبائل، الحلل السندسية في شان وهران و الجزيرة الاندلسية، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، الزهرة الوردية في الملوك السعدية[3]...

---

[1]: مُحَمَّد سي يوسف، «دراسة مخطوط عجائب الاسفار ولطائف الأخبار"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد2، 1986م، ص135 .

[2]: ابو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف. ج2، مطبعة فونتانا، الجزائر، ص333.

[3] : مُحَمَّد سي يوسف، نفس المرجع، ص 137.

ثانيا: العلاقات الثقافية الجزائرية المشرقية:

1.دور الحج في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق:

لقد تجلى التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي بواسطة الرحلة العلمية العكسية بين المنطقتين، خصوصا مع الحرمين الشريفين والجامع الأزهر، رغم ان المصادر التاريخية تشير إلى هذا التواصل الثقافي بين الجانبين، ولكنه لا يرقى بما يحصل في رحاب الحرمين الشريفين في مكة والمدينة أثناء السنة بصفة عامة وفي الحج بصفة خاصة، فعلماء الجزائر خاصة والمغاربة عامة كانوا يتوجهون الى مكة والمدينة لاداء مناسك الحج لعبادة الله عز وجل وزيارة مسجد رسول الله ﷺ مع حبهم لهذه المنطقة المقدسة، وسعيهم في البقاء فيها ما امكن، لذلك اثناء أداء هذه الشعيرة من عبادة وطاعة وطلب للعلم مع تحقيق التواصل مع اقرانهم من العلماء من بقية الأقطار الاسلامية الذين اجتمعوا في رحاب الحرمين الشريفين، ومنهم: زين العابدين الطبري، علي بن الجمال، عبد العزيز الزمزمي، إبراهيم الكردي، الحسن الاعجمي...، لتحقيق الغرض من الزيارة والاجازة بالاستزادة من العلماء واهل العلم[1].

فكانت أروقة الحرمين الشريفين خلال فترة الحج مكان يعج بالطاعة والعبادة وطلب العلم، ومنهل عام ينهل منه العلماء طلبة العلم المسلمين في كافة العلوم الإسلامية، وكان علماء الجزائر يستفدون من المكتبات والخزائن العلم الموقوفة في بلاد الحرمين بالاستعارة او النسخ ، فضلا عن شرئهم للعديد من المؤلفات في مختلف العلومن فكان ذلك سببا في نقل والحفاظ على تلك العلوم والمخطوطات ونقلها الى بلاد المغارب على يد العلماء[2].

كما نجد فئة من العلماء المغاربة من انتقلوا الى المشرق واستقروا به، وخصوصا بمصر زنزلوا بها وتركوا للأجيال بعدهم عدد كبير من المؤلفات العلمية، وساهموا في اثراء الحركة الثقافية والفكرية في المشرق الإسلامي عامة والديار المصرية خاصة ومنهم العالم الجزائري عيسى الثعالبي واحمد المقري، والشيخ مرتضى الزبيدي امام اهل اللغة في ق12هـ/18م الذي تتلمذ على يد مُحَمَّد الحسني البليدي الجزائري[3].

---

[1]: حميدي ابوبكر الصديق، محطات من التواصل بين الجزائر والمشرق العربي، جامعة المسيلة ، الجزائر، ص 126.

[2]: نفسه، ص 127.

[3]: حميدي ابوبكر ، المرجع السابق، ص 127.

2. التصانيف العلمية:

نتيجة حركة التاليف والتصانيف في مختلف العلوم النقلية والعقلية فقد شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تزايد ملحوظ في عدد المكتبات والخزائن العلمية بمختلف ربوع الوطن، وكانت الكتب تنسخ محليا او تجلب من الخارج خاصة من مصر عن طريق علماء الجزائر الذين زاروا مصر، وهذا ما ذهب اليه الجبرتي في كتابه على اهتمام الجزائريين بصناعة الكتب والتوريق، وكانت تلمسان تمتلك رصيد كبير من المكتبات ثم بجاية وقسنطينة والجزائر العاصمة، فظهر خزائن الافراد مثل مكتبة ابن الفكون بقسنطينة والغنية بالمخطوطات ومكتبة الشيخ مُحَمَّد بن إسماعيل التي احتوت على اكثر من ألف وخمسمائة كتاب وكان من المدرسين بالازهر، وقد تعرضت مكتبته للتخريب والنهب والإهمال، كما المفتي ابن العنابي لذي سافر الى مصر واخذ معه مكتبته الغنية التي لا تزال بعض كتبه تحمل ختمه وخطه[1].

كما ان العديد من كتب الجزائريين حملت الى مصر وهي موجودة في دار الكتب ومكتبة القلعة ومعهد المخطوطات ومكتبة بلدبة الاسكندرية، التي تضم كتبا لمحمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني الذي له نسخ بمكتبة القاهرة[2]، وعلم الاسطرلاب والفلك والطب لابن حمادوش موجودة بمكتبات رشيد والإسكندرية[3].

تعود المؤسسات الوقفية في الجزائر إلى الفترة الإسلامية التي سبقت العثمانيين، وركزت على بناء المؤسسات الدينية من مساجد ومدارس وزوايا، مع تحبيس عقارات لصيانتها وخدمتها، وبدخول العثمانيين توسعت الأوقاف وانتشرت بالبلاد، بسبب الظروف التي عرفتها المنطقة نهاية القرن الخامس عشر، التي عرفت انتشار واسع للمجال الصوفي، حتى انه كان عصر تصوف بامتياز مع القرن الذي يليه، فانتشرت تلك الأوقاف بالمدن وكانت اغلبها وقف أهلي هروبا من بطش الحكام، أما في أرياف فقد ساد الوقف الخيري فقد كان يعود على الزوايا والمساجد والأضرحة وغيرها.

---

[1] : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر 2007م، ص 286.

[2] : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار البصائر، الجزائر 2007م، ص 286.

[3] : أبو القاسم سعد الله، ابن حمادوش الجزائري حياته واثاره الطبيب الرحالة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982م، ص 106.

3. مؤسسة الوقف صورة للتضامن الديني:

يعتبر الوقف من أهم المظاهر الحضارة الإسلامية فهو يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم وإحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي، فهو شريعة اتبعها المسلمون منذ أوائل الإسلام و لكن بتطور الزمن و تعدد أوجه أغراضه فقد تطور في العهد العثماني بصفة خاصة لعدة اعتبارات سياسية و اقتصادية، فكان الوقف يتم على مبدأ شرعي و على صفة قضائية ملزمة، فيقوم القاضي بصياغة الوقف بحضور شهود مع تحديد قيمة الوقف و تعين أغراضه و كيفية الاستفادة منه و انتقاله و عوامل نموه و تخصيص المشرفين عليه و شروطهم مع ذكر تاريخ الوقف و توقيع الشهود و القاضي فكان الوقف يستند على وثيقة شرعية يلتزم باحترامها الواقف و أهله و المستفيدون منه و كذلك السلطة[1].

فكان الواقفون في الجزائر لا حصرة لهم بجنس أو طبقة أو مذهب و لذلك وجدنا فيهم الرجال و النساء والعثمانيين و الحضر و الأحناف و المالكية و لعل الفرق بين الواقف وأخر يعود إلى النسبة الحسنة و الثروة، فالفقراء كلما يوقفون لأنهم أنفسهم كانوا في حاجة إلى مداخيل الوقف لذا فكاد الوقف ينحصر على طبقة الأغنياء و متوسطي الحال[2].

1.3.مؤسسة الحرمين الشريفين: (مكة والمدينة)

وهي لا تقل أهمية عن مؤسسة سبل الخيرات رغم أن الأولى أكثر ثروة، وقد وجهت أموال هذه المؤسسة إلى فقراء مكة والمدينة في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحجاز، ولضمان وصول المداخيل الى أصحابها وجدت قوائم مفصلة لانواعها، وترسل باسم داي الجزائر، وتختم لجنة الحرمين دلالة على وصولها كاملة، بعد عودة وفد الحجيج إلى الجزائر [3]، كما تقدم اعانات ومساعدات للمنتسبين لهذه المؤسسة بالجزائر أو بالمناطق التي يمر عليها ركب الحج، فبعد التأكد من صحة انتسابهم لهذه المؤسسة[4].

وكان مجلس أوقاف مكة والمدينة يتكون عادة من اثنين تركيين عسكريين واثنيين مدنيين من أهل الحضر وغالبا من أهل الأندلس، ومؤسسة مكة والمدينة أقدم من سبل الخيرات فهي تعود إلى ماقبل العهد العثماني وكانت تدار من

---

(1). أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1800م، ج1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م، ص228-227.

(2). نفسه، ص 232.

(3). بوسعيد، المرجع السابق، ص 31.

(4). ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001م، ص 240.

قبل أربعة أشخاص في مجلس، وقد تتسع لأعضاء آخرين وكان على رأسها وكيل يعينه الباشا أيضا، كما كان لها وكلاء في المدن الجزائر الأخرى[1].

كما كانت تدير أوقاف مالكية وحنفية وهي الأوقاف التي يؤول فائضها إلى فقراء المدنيتين الشريفتين، وهناك إحصائية تدل على أهمية مؤسسة مكة والمدينة في الحياة الاجتماعية فقد كانت تملك هذه المؤسسة في أواخر العهد العثماني كأوقاف مايلي: 840 منزلا، 258دكانا، 33 مخزنا، 82 غرفة، 3 حمامات، 11 كوشة، 4 مقاهي، فندق واحد، 57 بستانا، 62 ضيعة، 6 أرحية، 201 إيجار، والتي أخرج معظمها وألحق بمصالح الدولة الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة[2].

وتجدر الإشارة إلى أن عائدات أوقاف هذه المؤسسة لم تكن تبعث كلها لأرض الحجاز، فقد كان الوكلاء ينفقون منها على فقراء مدينة الجزائر المنتسبين لها، وتتولى حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة مساجد حنفية داخل مدينة الجزائر[3].

وكانت لهذه المؤسسة اهمية سياسية فقد كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي و كان ركب الحج الجزائري يحمل كل سنة كمية هائلة من النقود والمال والذهب والفضة والألبسة وغيرها إلى فقراء مكة والمدينة وخادم الحرمين الشريفين وكانت عائلة الفكون هي التي تتولى إمارة ركب الحج الجزائر في كل سنة، أما حامل "الصرة" الرسمية فقد كان هو أمين بيت المال، وكان ركب الحجيج كل إقليم يحاول أن يتفوق على نظرائه في الثروة والجاه[4].

وكانت بعض الأوقاف تنص على مسائل وأغراض دينية كالطواف بالكعبة باسم الواقف وقراءة أذكار أو أحزاب من القرآن الكريم على الواقف، ففي 1184 أجري إحصاء للأوقاف الدينية:

الأوقاف المشتركة بين الحرمين والأندلسيين 62.

بيوت ودور للحرمين خاصة 74.

الأوقاف المشتركة بين الحرمين والجامع الأعظم 69.

---

[1]: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1800، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 238.

[2]: نفسه، ص 238.

[3]. سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية، ...، المرجع السابق، ص 240.

[4]: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 239.

مخازن للحرمين خاصة 81.

فكانت تمثل أوقاف مكة والمدينة في العهد العثماني إلى جانب التضامن الاجتماعي الوجه السياسي للجزائر أيضا[1].

تحبس عقارات هذه المؤسسة (الحرمين الشريفين) حسب عقود شرعية على فقراء مكة والمدينة، وتحتل هذه المؤسسة من حيث عدد عقاراتها المركز الأول، فكانت كل بيوع الجزائر وما يحيط بها من أراضي تعود لأحباس الحرمين، وتتمثل اهمية هذه المؤسسة في مكانة وكيلها في إدارة المدينة حيث تضاهي مسؤوليته تلك المسندة لشيخ البلد وبيت المالجي، ويقدر Devoulx عدد أحباس هذه المؤسسة حوالي 1558 عقارا، وهي بذلك حوالي ثلاثة أرباع لمجموع العقارات المحبسة في مدينة الجزائر والتي تقدر مداخيلها في سنة 1837م بقيمة 143223 فرنكا فرنسيا وهو ما يعادل 41534.67 غراما ذهبا خالصا حيث كان الفرنك الفرنسي يعادل في الفترة ما بين 1803-1814 حوالي 0.3258 غراما عاديا أو 0.290 غراما ذهبا خالصا[2].

4. الشخصيات العلمية والدينية الجزائرية بالمشرق:

هناك عدة شخصيات جزائرية من العلماء كان لهم التأثر والتأثير الواضحين في التبادل الثقافي في العهد العثماني بين الجزائر والمشرق من بينهم نذكر:

أحمد المقري: تم الإشارة إليه سابقا في التبادل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، أما فيما يتعلق بشقه المشرقي فانه خروجه من المغرب متوجها للمشرق كان في 1027هـ ونزل بمصر وتزوج بها ولعل أحوالها المادية هي ما جعلته يستقر بها[3]، فكانت حياته حافلة بالنشاط العلمي والفكري الغزير ألف معظم كتبه بمصر، مثل موسوعة "نفح الطيب" في تاريخ الأندلس وكتاب "فتح المتعال" في الدين ، كما أصبح مدرسا بجامع الأزهر، تولى عدة مناصب له حوالي 28 تاليفا في مختلف العلوم، وامتلك متكتبة اشتغل بالادب والتاريخ بالقاهرة كما زار الشام والحجاز[4].

أبو راس الناصري: (1150- 1206هـ/1737-1792م) انظر عن هذه المادة في ص87 وما بعدها.

---

[1]. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق ، ص 244.

[2]. مصطفى احمد بن حموش، المدينة و السلطة في الاسلام" نموذج الجزائر في العهد العثماني" دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الاولى ، دمشق 1994، ص 120.

[3]. محمد خيط، المقري أبو العباس احمد بن محمد مؤلف نفح الطيب، دار مداني للنشر و التوزيع، الطبعة الاولى ، تلمسان 2011، ص 90.

[4]. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق ، ص 212.

أبو عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم بن احمد العسري الأبلي : عالم جزائري برز في علم الرياضيات وعلوم الدقيقة درس المنطق، وهاجر إلى مصر وصال وجال فيها واتصل بعلمائها من أمثال الصفي الهندي، ليعود المسقط اسه بتلمسان وتولى التدريس فأجاد وأفاد[1].

مُحَمَّد بن احمد بن مُحَمَّد مرزوق الخطيب : ولد ونشا بتلمسان اخذ علومه الأولى على يد مشايخها، وزار العديد من المدن المصرية في رحلته العلمية، وتولى الخطابة بمساجدها، كان شاهدا على الأحداث السياسية التي عصفت بمصر له عدةتاليف منها: معجم عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمح من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والحجاز والشام[2].

أبو زيد بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي: ولد ونشأ بمدينة يسر ليرتحل الى بجاية التي نهل من علمائها ومنها الى المشرق صوب مصر حيث اتصل بعلمائها من أمثال: ولي الدين العراقي، عبد الله بساطي ومن تاليف الثعالب: الجواهر الحسان في تفسير القرآن[3].

عيسى الثعالبي: ولد ونشا بالجزائر غادرها في 1061هـ نحو المشرق لاداء فريضة الحج وزار مصر واقام بها مدة عامين 64و 1065هـ واخذ عن ثلة من علمائها من أمثال علي الاجهوري ومُحَمَّد البابلي والخفافي، واتصل بالطريقة الشاذلية عن طريق شيخها بمصر ابي الحسن علي، واخذ عدة اجازات في العلوم خصوصا من علماء الازهر كالعالم يوسف الفيشي، حيث استقر بالحجار في جوار الحرمين الشريفين، وعرف عن الثعالبي بسيرة علمية كبيرة[4].

يحي الشاوي المليانى:الشيخ الشاوي المليانى(1030 - 1096 هـ / 1621 - 1685 م): هو يحيى بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله، أبوزكرياء الشاوي المليانى الجزائري[5]، ينتمي الى اسرة علمية حيث كان والده فقيها[6]،

---

[1]. الاعرج، المرجع السابق ، ص 254.

[2]. نفسه ، ص 159.

[3]. الشيخ أبو عمران ، معجم المشاهير المغاربة، ط1، منشورات دحلب، الجزائر 2007م، ص 161.

[4]. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق ، ص 54-60.

[5] خير الدين الزركلي، الأعلام ،ط15، دار العلم للملايين،بيروت ،2002 ، ج8، ص169 .

[6] مُحَمَّد أمين الحموي،خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،دار صادر بيروت، ج4، 486-488.

وينتسب إلى قبيلة أولاد نائل فوالده هو أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى النائلي، نسبة إلى قبيلة أولاد نائل بالقطر الجزائري ،وعِرف مترجمنا هذا بالشاوي تسمية لا نسبا[1].

عرف بالمليانى نسبة الى مسقط رأسه في مدينة مليانة، وفيها أيضا كانت نشأته الأولى، وكانت مليانة وقتئذ أحد اهم مدن الجزائر خلال العهد العثماني [2]، تلقى الشيخ الشاوي المليانى تعليمه الاول بمليانة ثم تحول إلى مجاجة للتكميل بزاوية مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي أبهلول، لينتقل الى تلمسان حيث قرأ على الشيخ المقري ثم ارتحل إلى الجزائر، وسمع من ثلاثة أساتذة أفذاذ، مثل: (أبي الحس لأنصاري السجلماسي وسعيد قدورة)، اجتهد الشاوي في تعميق معرفته في العلوم الشائعة وقتئذ، وبعد وفاة أستاذة الأنصاري تولى حقل الثقافة بالجزائر العاصمة كأستاذ ممتاز، وصار شخصية بارزة بجانب السلطة السياسية الحاكمة، إلا أن شرق الوطن الجزائري كان سنة 1047هـ/1637م مجالا لثورة أحمد إبن الصخري على العثمانين بسبب سلوك (مراد باي قسنطينة)، وقتئذ رحل الشاوي من مدينة الجزائر إلى بجاية ثم عنابة ثم مكة المكرمة لأداء فريضة الحج بعدها توجه إلى القاهرة حيث قرأ على مشاهير علمائها على غرار "البابلي"، و"الشرابلي"، و"المزاحي" ثم شرع يُدرس بالأزهر فوصل صيته إلى أولي الدولة المصرية فولوه قضاء المالكية ثم مفتي المالكية ثم غادر مصر إلى دمشق أين ألقى دروسا بمسجد بني أمية بمحضر أعلام علمائها ثم مضى إلى اسطنبول واستقبله شيخ الإسلام بتركيا وبعد مدة ارتقى إلى أستاذ لتعليم التفسير والنحو والتوحيد وأنزله مصطفى باشا (مصاحب السلطان) بداره[3].

وتولى كثيرا من وظائف علماء مصر أثناء إقامته بها. ثم توجه ثانية إلى إسطانبول فنجح بعض الشيء حيث قربه رجال الدولة أول الأمر ثم انقلبوا عليه كما انقلب عليه أهل مصر فرفعوا عنه وظائفه [4].وسمي في آخر حياته كأمير الحج على الركب المغربي[5]. وفي آخر أمره سافر للحج، فمات بالطريق سنة 1096 هجري ، وبعد دفنه حمل لمصر وأقبر بها[6].

---

[1]. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس،ج2،ط2، دار الغرب الاسلامي،بيروت،1972،ص 132.

[2]. إبراهيم نغلي ،تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ج/قسم العلوم الاجتماعية، العدد 20 – جوان 2018 . ص 118.

[3] . أحمد بن اسماعيلي، مشايخ خالدون وعلماء عاملون، عين مليلة، دار الهدى، 1998، ص117-118.

[4] . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر 2007،ص 135-137.

[5]. أحمد بن اسماعيلي، المرجع السابق، ص117-118.

[6] . مُحَمَّد بن الحسن الحجوي الثعالبي ،الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1995، ج2، ص 336.

كانت له عدة مؤلفات في النحو والعقيدة وعلم الكلام نذكر منها[1]: حاشية على شرح أم البراهين العقيدة الصغرى للسنوسي في التوحيد التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية، في العقائد وتوكيد العقد فيما أخذه الله علينا من العهد عله هو نفسه الحاشية على أم البراهين وفتح المنان في الأجوبة الثمان الى جانب قرة العين في جمع البين وله نظم لامية في إعراب اسم الجلالة جمع فيه أقوال النحاة وشرحها...وغيرها من التصانيف

وكان الشيخ الشاوي المليانى قد بلغ منزلة علمية مرموقة في عصره حيث قال عنه صاحب شجرة النور الزكية: "الشيخ الأستاذ القدوة الإمام الذي ختمت بعصره أعصر الإسلام وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام آية الله الباهرة في التفسير والمعجزة الظاهرة في التقرير والتحرير المتبحر في العلوم الحامل راية المنثور والمنظوم"[2].

وقال تلميذه الشهاب أحمد بن قاسم البوني في ثبته : "كان يحفظ شرح التتائي الكبير وشرح الإمام بهرام الوسط وغيرهما، بل يحفظ ستين كتاباً من الكتب الكبار كمختصر ابن عرفة الفقهي، وهو ستة أسفار كبار جمع فيه أكثر المذهب، حتى إنه يذكر في بعض المسائل خمسين قولاً منسوبة لقائلها وأمثال ذلك، وأما التواليف التي هي كراريس قليلة يحفظ منها ما لا يحصى، كيف لا وهو يحفظ من ثلاث عرضات لا غير فحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين، ثم اشتهر بالحفظ وحدة الذهن وجودة الإدراك حتى عبر عنه شيخنا سيدي بركات بن باديس القسمطيني بقوله " :إنه عالم الربع المعمور [3] ".

وذكر أبو القاسم سعد الله بأن يحي الشاوي من المعاصرين للفكون، وربما أخذ عنه، لأن الفكون أكبر منه سنا وكان في الجزائر موضع شهرة واحترام عندما كان الشاوي ما يزال طالبا يبحث عن الشيوخ الذين يشبعون نهمه العلمي، وإذا كنا قد عرفنا جانبا من توجيه الفكون نحو علم النحو فإننا ما زلنا لا نعرف من الذي دفع الشاوي إلى هذا العلم. وقد أخبر عنه العياشي بأنه كان من الأذكياء وأن له معرفة حسنة بالنحو ومشاركة في غيره، وأنه كان مواظبا على التعلم والتعليم. حقا إن مزاجه كان، يشبه مزاج المقري المعاصر له أيضا، كلاهما كان يجانب أهل الباطن ويطمح إلى الاتصال بالأمراء وأصحاب الجاه، وكلاهما استعمل علمه سلما للدنيا، فهذا الشاوي قد ألف

---

[1] . أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص109.

[2] . محمّد بن محمّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزّكية في طبقات المالكية، ط1، الكتب دار العلمية، لبنان، 2003.،ص 458 .

[3]. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق،ص 132.

كتابا في أصول النحو جعله على أسلوب الاقتراح للسيوطي وكتبه برسم السلطان العثماني، مُحَمَّد خان، وقدمه للعلماء العثمانيين فقرظوه[1].

وقد أجاز يحيى الشاوي عددا من علماء المشرق منهم المحبي صاحب "خلاصة الأثر" بعد أن درس عليه هو وجماعة من الشاميين تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي، والألفية والعقائد ونحوها. وكانت الإجازة نظما ذكره المحبي وممن أجازهم الشاوي أيضا مُحَمَّد بن زيد الدين الكفيري، وذلك بأسانيده ومروياته عن مشائخه في كتب الموطأ وصحيح البخاري وغيرها كما أجاز تقي الدين الحسني بالإجازة التي منحه إياها شيخه مُحَمَّد السعدي أبهلول ولا شك أن الشاوي قد أجاز غير هؤلاء أيضا[2] .

وترجمه الشهاب النخلي في فهرسته، وذكر أنه أجازه بجميع مروياته ومؤلفاته، قال : "منها الترجيح في بيان ما للبخاري من التصحيح حواشي التسهيل والألفية وفيما له في علم الكلام وفي إعراب الكلمة المشرفة، وذكر النور عليّ النوري أنه جمع فهرسة لشيخه الحافظ البابلي وأنه نظم جواباً في إثبات حياة الخضر في أبيات في درجين، ونظم قصيدته اللامية في إعراب كلمة الشهادة في ساعة بين العشائين، وهو يتحدث مع بعض الأصحاب، وذكر البوني أنه زل عليه في داره بمصر سنة فكان يرد عليه في كل يوم نحو العشرين سؤالاً وأكثر، فيجيب عنها بلا كلفة ولا مطالعة، قال :الحاصل أنه لا نظير له، وما ذكرت من وصفه حتى العشر، وطوبى لعين رأته ولو مرة في الدهر"[3].

وإذا حكمنا على يحيى الشاوي من مؤلفاته فإنه يعد من كبار علماء الظاهر في القرن 11 هجري/ 17 م. ذلك أن معظم مؤلفاته لا تكاد تخرج عن التوحيد والنحو والمنطق، وهي جميعا من علوم أهل الظاهر. كما أن سيرته تدل على أنه كان كذلك. فقد طاف في البلاد الإسلامية من الجزائر إلى مصر والحجاز ودمشق واستانبول واتصل بالوزراء والسلاطين والوجهاء، ونال حظوة عندهم، كما أنه كان من نقاد العصر وأهله. وهذا كله دليل على أنه لم يكن من المتصوفة أو علماء الباطن. وهو في هذا يذكرنا بمكانة معاصريه ومواطنيه عبد الكريم الفكون وأحمد المقري وعيسى الثعالبي، ولكنه، مع ذلك، يظل متميزا عنهم باختصاصه وشخصيته[4].

---

[1]. أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 161.

[2]. نفسه، ص 48.

[3]. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق،ص 132..

[4]. نفسه، ص 102-103.

الخاتمة:

من خلال هذا العرض لتلك التطورات التي عرفتها العلاقات الجزائرية مع مختلف الأقطار المجاورة والبعيدة في جوانب مختلفة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية وحتى دينية، ومما نجمله في هذه العجالة وما توصلنا إليه من استنتاجات نجملها فيما يلي:

الجزائر بلد محوري في المنطقة المغاربية، وشكلت خلا ل الفترة العثمانية القوة التي يجب ان يحسب لها ألف حساب، فقد تعثرت وفشلت كل محاولات الأسر التي نشأت في المملكة المغربية في السيطرة أو التوسع على الغرب الجزائري، بل انه كان مرتابا منها في كل الأوقات، مما جعله يوقع المعاهدات والاتفاقيات مع الجزائر سواء السعديين ام العلويين.

من خلال هذه الدراسة للجانب السياسي لمنطقة تمكنا من معرفة طبيعة العلاقات التي ربطت دول المنطقة المغاربية خلال الفترة الحديثة، كظهوزر أنظمة حكم جديدة مع التواجد العثماني وقيام نظام الباشوات والدايات والاسر الحاكمة في كل من تونس وطرابلس وما عرفته المملكة المغربية من قيام الاسرة السعدية والعلوية والعلاقات السياسية التي تحكمت في تسيير الأمور السياية والعسكرية وانعكاساتها على باقي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

أن العلاقات الجزائرية الوطاسية اتسمت بنوع من عدم التدخل في الأمور الداخلية للبلدين فالوطاسيون لم يعينوا الزيانيين عندما لجأوا إليهم، والعثمانيون لم يتدخلوا فيها إلا بطلبهم، وهنا من يبرر ذلك بانشغال الجزائر بالحرب على اسبانيا جعلها لا تفكر في التدخل في المغرب الأقصى، مع العلم أن الوطاسيين قد أعلنوا الدخول تحت راية العثمانيين طواعية في 1545م نتيجة التهديد السعدي لهم.

العلاقات الجزائرية السعدية تميزت بنوع من الصدام الدائم بين الطرفين في محاولة رد التوسع السعدي على الغرب الجزائري، وهناك من يذهب أن الدولة العثمانية لم تقم بحملة على المغرب لضمها إليها لظهور الأشراف فيها، بدليل أن العلج على أثناء حملته عليها عندما انتهى الأمر للخليفة العثماني رده عن ذلك، كما أنها سعت في بقاء الأشراف.

فقد أعادت الأخوين عبد المالك وأحمد المنصور لسدة الحكم، واتسمت العلاقات في عهدهما بالسلم الحذر باعتبار وجودهما كان بفعل العثمانيين، وفي عهد السلطان أحمد المنصور 1578م-1603م فقد عمل على التخلص من السيطرة والهيمنة العثمانية بحنكته، بإرسال الهدايا والوفود إلى الجزائر والدولة العثمانية، فكانت العلاقات في عهده سلام حذر.

رغم وجود عدة فرص للتدخل في المغرب غير أن الدولة العثمانية لم تقم بضمها، خصوصا بعد وفاة السلطان المنصور تدخل البلاد في فوضى سياسية عارمة، انتهت بانقراض الدولة السعدية على يد العلويين، لتدخل العلاقات حلقة جديدة بين البلدين.

فالعلاقات الجزائرية بالأسرة العلوية اتسمت في بداية قيام هذه الأسرة بالعداء خصوصا في عهد السلطان إسماعيل لتجنح نحو السلم والهدوء على خلفه، لتصل لحد التعاون والدعم ففي عهد مُحَمَّد بن عبد الله الذي قدم العون للدولة العثمانية بحد ذاتها في حروبها الأوروبية، في سنة 1795م سلم الجزائريون مدينة وجدة للمغرب في عهد الداي حسن باشا (1791-1798م)، وما قام به السلطان سليمان على اثر الطلب الذي وجهه إليه الداي الحاج علي باشا(1802-1815م) عن طريق ابن العنابي لطلب الدعم في تجديد جيشه وسفنه البحرية فأعطاه ثلاثة مراكب مع دعمه بمقدار من المال.

تميزت العلاقات الجزائرية مع الاسرة المرادية بتدخل الجزائر من اجل فك النزاع الذي احتدم بين أفراد البيت المرادي الذي اخذ بتونس نحو الهاوية، وقد استفادت الجزائر من ذلك أولا بالحصول على الأموال وثانيا إقرار تواجدها ونفوذها بتونس، ما جعل البايات يعملون على تخليص رقابهم من قبضة الجزائر كلما سنحت لهم الفرصة، وهو الأمر الذي سعت الجزائر على تفاديه بتقريب المناوئين للبايات أو الحكام بتونس

ارتبطت العلاقات بين البلدين حول سير الأحداث بتونس، مع اعتبار أن الجزائر هي الراعي والحامي لحاكم تونس في كل مرة، وهذا ما تدعمه الجزائر في علاقاتها مع الأسرة الحسينية التي تنطلق في تونس بنهاية إبراهيم الشريف في 1705م.

أدى الصراع بين الايالتين الجزائرية والتونسية الى خلق علاقات عدائية تمثلت في مواجهات عنيفة وتسلط من طرف دايات الجزائر، وأخرى سلمية تجسدت في صورة التحالف والمصاهرة والمساعدات فيما بينهما نتيجة القبائل القاطنة على الحدود والتي كان لها عامل رئيسي في تحديد طبيعة العلاقات بين الايالتين.

ساهمت العلاقات بين البلدين في تفعيل العلاقات الاقتصادية من خلال ربط مبادلات تجارية بينهما كان لهادور في تفعيل الحركة الاقتصادية التي تمت في الأسواق والعمل على توفير المواصلات والسلع اللازمة.

ربطت الجزائر علاقات اقتصادية مع المنطقة المغاربية والمشرقية خاصة على مستوى المدن والحواضر الكبرى الساحلية والداخلية والصحراوية، بظهور مسالك برية تجارية عرفت بالطرق السلطانية، وتنوعت المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب والمشرق ما بين أوروبية وصحراوية وافريقية واسيوية ومحلية مما جعل الجزائر تعرف باسطنبول الصغرى.

كما امتازت الحياة الثقافية بين الجزائر والدول المغاربية والمشرقية بكم كبير من التنو نتيجة الاحداث والتطورات التي حصلت في العالم ا لاسلامي من ضياع للاندلس وقيام الخلاقة بالدولةالعثمانية وانتشار التصوف وتفوقه، مع كثرة المؤسساتالثقافية من مساجد وزوايا ومدارسن مما اوجد عدد كبير من الطلبة الساعين في البحث عن منابع العلم ومشاربه في مغارب الارض ومشارقها ما ادي الى حركة علمية مزدهرة مفعمة بروح العصر، ودليلها يظهر في الكتابات التي ظهرت في جميع المجالات وتلك المسامرات العلمية المدونة في شكل محاضرات او مناظرات حول قضايا العصر.

كما كانت الرحلات العلمية مظهرا من مظاهر التفاعل الثقافي بين الجزائر والبلدان المغاربية والمشرقيةن وهذا ما جسدته تلك الكوكبة من العلماء الذين ارتحلوا من الجزائر الى الاقاف او من دخلوا الجزائر واستقروا فيها من كل البلدان المجاورة والبعيدة، وهذا يدل على ذلك التفاعل الثقافي والتعايش المذهبي، فكان في الجزائر الطرابلسي والفاسي والانصاري والتونسي والمصري والحجازي وكذا العالم الجزائري الذي نجده في كل بلدان المغرب والمشرق خلال الفترة العثمانية وأهمهم احمد المقري وأبو راس الناصري والمشرفي والسنوسي...

ساهم التبادل الثقافي والحركة العلمية بين العلماء المنطقة المغاربية الى كسب العلوم والمعرفة وبروز العلماء في تلك الفترة، متشبعة بالروح الصوفية التي طغت على العصور الحديثة في العالم الإسلامي، ساهم ركب الحج في بدور فعال في إقامة روابط اجتماعية وثقافية وروحية بين الجزائر والاقطار التي يمر بها الركب وصولا الى مكة المكرمة والمدينة المنورة، فكان خير معين على احتكاك العلماء والطلبة فيما بينهم بين الحواضر المختلفة بين المشرق وحتى المغرب. كانت مجالس العلم والمحاضرات والمناظرات مجالا لابراز القدرات والمهارات التي تبهر السامع وتسكت الناعق، فكانت تلك المجالس فضاء للتواصل الفكري والاحتكاك الحضاري بين العلماء والطلبة.

لقد كان النشاط العلمي احد اهم المظاهر التواصل بين الايالات المغاربية في العهد العثماني، فقد ساهمت الرحلات في تدعيم العلاقات العلمية، حيث اعطتها نفسا جديدا، وذلك بادراج أساليب جديدة في المناهج والدراسة، حتى كان من الراسخ عن علماء المنطقة المغاربية انهم متمكنون من السند العالي، لذا كانوا من العلماء الذين يطلب الرحلةاليهم في اخذ العلم من منابعه، ووصل علوهم بالاسانيد ومرجعيات راسخة عن ثقات الامة ورجالها.

قائمة المصادر والمراجع:

المخطوطات والأرشيف:

*. أبو راس، الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، تحت رقم 1632.

*. أبو سالم عبد الله، العياشي، رحلة العياشي المعروفة بماء الموائد، طبعة فاس الحجرية، 1316هـ/1898م، بمصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة، تحت رقم 1342، الجزائر.

*. أبي الحسن سيدي علي بن المعظم أبي عبد الله سيدي مُحَّد الجزولي التمقروطي، النفحة المسكية في السفارة التركية، ومخطوط مطبوع تحت رقم الكتاب 2120، مكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر.

*. خوجة، حسان، تاريخ بايات وهران،مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، تحت رقم 1634.

*. رسائل بين بايات الشرق والدايات، تحت رقم 1642، مخطوط من المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

*. رسائل بين قسنطينة وتونس، مجموعة من المراسلات بين الباي ووكلائه، تحت رقم 1641، مخطوط من المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

*. مؤلف مجهول، تاريخ قدوم النبلادور إلى الجزائر وسبب قدومه، مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة، تحت رقم 1624.

قائمة المصادر:

*. بن أبي السرور البكري الصديقي، مُحَّد ، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية (998-بعد 1071هـ/ 1589-1661م)، تقديم وتحقيق وتعليق ليلى الصباغ، ط 1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1995

*. أبو زيد ولي الدين بن خلدون، عبد الرحمن ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج12، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1996.

*. الزهار، الحاج احمد الشريف ، مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168-1246هـ/ 1754-1830م) تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974

*. العنتري، الصالح مُحَّد، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005.

*. العنتري، صالح، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.

*. الراشدي احمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق ويقديم المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر 1973

*. المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان بوهران من الأعراب كبنى عامر، تحقيق ابن عبد الكريم ،مكتبة الحياة، بيروت

*. الورثيلاني، الحسين بن مُحَمَّد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر1908 .

*. باشا، صادق، رحلة حضرة صاحب السعادة عظم زاده صادق باشا المؤيد إلى صحراء افريقيا الكبرى، تعريب جميل بك العظيم، مطبعة المعلومات طاهر بك، دار الخلافة العالية، 1318هـ.

*. بايسونال، أندري، الرحلة إلى تونس (1724)، ترجمة وتحقيق مُحَمَّد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس 2004.

*. بن أبي الضياف، احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان الجزء 1، النشرة الثانية، دار التونسية للنشر، تونس 1976.

*. بن أبي الضياف، احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج2، النشرة الثانية، دار التونسية للنشر تونس 1977.

*. بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، مُحَمَّد، المعروف بابن ابي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط 3، دار المسيرة، بيروت 1993.

*. بن الهطال التلمساني، احمد، رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم مُحَمَّد بن عبد الكريم، ط1، الناشر عالم الكتب القاهرة 1969.

*. بن شويهد، عبد الله، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/ 1695-1705م)، تحقيق وتقديم: الد. ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2006.

*. بن عبد القادر، مسلم، أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق وتقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.

*. بن عثمان خوجة، حمدان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق مُحَمَّد العربي الزبيري مؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر 2005.

*. بن عودة، المزاري، طلع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة الد: يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

*. بن مُحَمَّد الأندلسي الوزير السراج، مُحَمَّد، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحيقيق مُحَمَّد الحبيب الهيلة، ط1، المجلد الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985

*. بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، حسن (المعروف بليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمة. مُحَمَّد حجي، مُحَمَّد الأخضر، ج1، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.

*. بن ميمون الجزائري، مُحَمَّد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم مُحَمَّد بن عبد الكريم، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1972،

*. بن يوسف الزياني، مُحَمَّد، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1978.

*. بيرم الخامس، مُحَمَّد، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، ج 2، ط 1 المطبعة الإعلامية، مصر 1302هـ.

*. توللي، ريتشارد، عشر سنوات في بلاط طرابلس، تعريب عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، ليبيا.

*. فريد بك المحامي، مُحَمَّد، تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق احسان حقي، ط 1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1981

*. فندلين ،شلوصر، قسنطينة أيام احمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر 1977

*. مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي، عبد الله، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق الطاهر احمد الزاوي الطبعة 2، مكتبة النور، طرابلس 1967.

*. مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي ومُحَمَّد محفوظ، ط 1، المجلد 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

*. ناجي، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام ادهم، مُحَمَّد الأسطى مطبعة الغريب، بيروت بدون سنة نشر.

المراجع:

*. أحمد بن حموش، مصطفى ، المدينة و السلطة في الإسلام" نموذج الجزائر في العهد العثماني" دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى ، دمشق 1994.

*. الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980

*. التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود على عمر ط 1، دار النهضة العربية، بيروت 1989.

*. الثعالبي، عبد العزيز، تونس الشهيدة، تعريب حمادي الساحلي ، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984.

*. الجمل، شوقي عطاالله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس الجزائر، المغرب)، ط 1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة 1977.

*. الجوهر، يسرى. شمال افريقية (دراسة في الجغرافيا التاريخية)، دار المعارف، مصر 1978.

*. الدناصورى، جمال الدين، د دولت احمد صادق،د. مُحَمَّد السيد غلاب، جغرافية العالم "دراسة إقليمية"، ج 2 ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة1967

*. الزبيري، مُحَمَّد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1975.

*. الشريف، مُحَمَّد الهادي، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس (من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال)، تعريب مُحَمَّد شاوش، مُحَمَّد عجينة، ط3، دار سراس للنشر تونس 1993.

*. العربي، إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

*. العروق، مُحَمَّد الهادي، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيا العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984.

*. العقاد، صلاح. المغرب العربي في تاريخيه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر تونس المغرب الأقصى)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة1980.

*. الفنيش، أحمد علي، المجتمع الليبي ومشكلاته، ط1، منشورات دار مكتبة النور طرابلس 1967.

*. الهادي، التجومي، تاريخ تونس الاجتماعي 1881-1956، ط 2، نشر دار مُحَمَّد علي الحامي، تونس 2001.

*. أندري جوليان، شارل، تاريخ إفريقيا الشمالية(تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من بدء إلى الفتح الإسلامي 647)، تعريب: مُحَمَّد مزالى والبشير بن سلامة،ج1، النشرة الثالثة، الدار التونسية للنشر، تونس 1978.

*. ايليتش بروشين، نيكولاي، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان 2001

*. ب. وولف، جون ، الجزائر وأوربا (1500-1830)، ترجمة وتعليق ابو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

*. بن أبي زيان ابن اشنهو، عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيين على الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 1972.

*. بن الخوجة ،مُحَّد ، الرزنامة التونسية، مطبعة الرائد التونسي، تونس 1324هـ.

*. بنت معجب بن سعيد الحامد، نورة ، الصلات ا لحضارية بين تونس والحجاز، دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (1256-1326هـ/ 1840-1908م)، دار الملك عبد العزيز، الرياض 2005

*. بن جمعة بلقاسم، إبراهيم ، الاقتصاد والمجتمع في الايالة التونسية من 1861 إلى 1864، الشركة العامة للطباعة، تونس 2002.

*. بن مُحَّد الجيلالي، عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1965.

*. بن منصور، عبد الوهاب ، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط 1968

*. بولقمة ،الهادي مصطفى وخليل القزيري، سعد، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، ط 1 الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت 1995.

*. توفيق المدني، احمد ، مُحَّد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 (سيرته، حروبه أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986،

*. حليمي، عبد القادر، جغرافية المغرب العربي الكبير، مطبعة البعث، طبعة 2، الجزائر 1972.

*. ج. ديبو، تونس، تعريب الصادق مازيع، الدار التونسية للنشر، تونس 1969.

*. خلاصي، علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط 1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007.

*. روسي، أتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب وتقديم خليفة مُحَّد التليسي، الطبعة 1، دار الثقافة، بيروت 1984.

*. زروق، مُحَّد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط3 أفريقيا الشرق، الرباط 1998.

*. زبيس، سليمان، آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي ، مطبعة سابي، تونس 1955.

*. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1800، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1998.

*. سعد الله، أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.

*. سعد الله، أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط 3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

*. سعيد الطويل، احمد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي(1795-1832)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طبعة الأولى، بيروت 2001.

*. سعيدوني، ناصر الدين، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية 1984.

*. سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

*. سعيدوني، ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1986.

*. سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

*. سويدي، جمال، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (من القديم إلى 1830) ترجمة فايزة بوردوز، منشورات التل، الجزائر 2007.

*. عباد، صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514-1830، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر2005.

*. عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس 1976.

*. علي الفنيش، احمد، المجتمع الليبي ومشكلاته، ط1، منشورات دار مكتبة النور طرابلس 1967.

*. علي بن إسماعيل، عمر، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835 ،الطبعة 1، مكتبة الفرجاني، بيروت 1966.

*. غطاس، عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2007.

*. قشي، فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة 2005.

*. كلو، أندري، سليمان القانوني، تعريب البشير بن سلامة. الطبعة الأولى. دار الجيل بيروت 1991

*. كلود زليتنر، جان، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا (1500-1795 إفرنجي)، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام مسراته 2001.

*. لقبال، موسى، تاريخ المغرب الاسلامي، ط4، دار هومة للطباعة و للنشر والتوزيع الجزائر 2001

*. مُحَمَّد التليسي، خليف ، حكاية مدينة طرابلس لدي الرحال العرب والأجانب ، دار العربية للكتاب ، طرابلس 1947.

*. مروش، المنور، العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009.

*. مصطفى بازامه، مُحَمَّد ، مدينة بنغازي عبر التاريخ (منذ نشأتها حتى الغزو الايطالي)، ج 1 ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي 1968.

*. مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته (من قبيل الفتح الغربي الى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين)، ط1، مجلد 1 العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت 1992.

*. يحي، جلال. تاريخ المغرب الكبير(العصور الحديثة وهجوم الاستعمار)، ج 3، دار النهضة العربية ، بيروت1981 .

المقالات:

*. ابن خوجة، مُحَمَّد، " مرور مائة عام من تأسيس حفلة مولودية رسمية بتونس."، عن المجلة الزيتونية، م 1، ج3، المطبعة التونسية، تونس 1936.

*. أبو القاسم، إبراهيم، " الخلفيات التاريخية للهجرة الليبية إلى الايالة التونسية خلال القرنين 18-19م"، من المجلة التاريخية المغاربية (العصر الحديث والمعاصر)، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، السنة 24، العددان 85-86، تونس 1997.

*. بونو، سلفادور، " العلاقات بين الجزائر وايطاليا خلال العهد التركي"، ترجمة أبو القاسم بن التومي، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد 6، جانفي 1972، الجزائر 1972.

*. التميمي، عبد الملك خلف، "ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قبيل الاستعمار" عن الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني. جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني، ط1، تونس 1984.

*. الزواوي، علي، "دفتر حساب خاص حول تجارة التونسيين مع مرسيليا خلال سنتي 1187-1188هـ/ 1773-1774"، عن المجلة التاريخية المغربية(الحديث والمعاصر) مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، السنة 12، العدد 37-38، تونس 1985.

*. الطبي، أمين، "لمحة عن الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط (ايالة الجزائر) في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي من خلال رحلتي الحسن بن مُحَمَّد الوزان (ليون الإفريقي) وعلي بن مُحَمَّد التمقروتي، عن المجلة التاريخية المغربية مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، العدد 39-40، تونس 1985.

*. المرزوقي، فتحي،" المؤسسات الدينية والمؤسسات الخيرية بمدينة تونس في القرن الثامن عشر مقوماتها الاقتصادية ووظيفتها الاجتماعية"، عن تحية وتقدير للأستاذ شارل روبير اجيرون، ج2، منشورات التميمي للبحث والمعلومات، زغوان 1996.

*. جحيدر، عمار، "العلاقات الليبية التونسية في القرن التاسع عشر (ملاحظات أولية على نشاط الوكلاء)"، من المجلة التاريخية المغاربية (العصر الحديث والمعاصر)، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، السنة 10، العددان 29-30، تونس 1983،

*. حسن السوري، صلاح الدين ،" الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني، مشاكل الضغط والتوتر"، عن مجلة البحوث التاريخية ، السنة 6، العدد الثاني، يوليه 1984، منشورات جامعة الفاتح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1984.

*. مجموعة من المؤلفين، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، نشرية مركز الأبحاث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، السنة12، السنة 1975 العدد43/40، تونس.

*. سعد الله، أبو القاسم ،" السلطة والطرق الصوفية في المغرب العربي في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية"، مقال غير منشور، قمار 2003.

*. سعيدوني، ناصر الدين، "الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان"اثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر"، عن حوليات جامعة الجزائر، العدد 07، سنة 1993، الجزائر 1993.

*. سعيدوني، ناصر الدين، "الإنسان الاوراسي وبيئته الخاصة (دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الاوراس قبل وأثناء العهد العثماني)"، عن مجلة الأصالة العدد 60-61، أوت- سبتمبر 1978، مطبعة البعث، الجزائر 1978.

*. سعيدوني، ناصر الدين،"الخزينة الجزائرية 1800-1830" عن المجلة التاريخية المغربية، عدد 7-8، جانفي 1977، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس 1976.

*. سعيدوني، ناصر الدين، "موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري "، من حياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني للأستاذ : عبد الجليل التميمي، الجزء 1-2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان 1990.

*. سعيدوني ،ناصر الدين ،"وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها"، عن المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، عدد 7-8 جانفي 1977، تونس 1976.

*. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم،" العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الولايات العربية إبان العصر العثماني 1517-1798 من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية" عن الولايات العربية ومصادرها وثائقها في العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني ط1، تونس 1984.

*. عبد القادر حليمي، "اثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر"، عن مجلة الأصالة عدد 6، جانفي 1972، تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1972.

*. عبد القادر حليمي، "القروض والنقود في مدينة الجزائر اثناء العهد التركي"، عن مجلة الأصالة، عدد 07، مارس-افريل 1972، تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية الجزائر1972.

*. علي إبراهيم، عبد الله، " أنماط التجارة الداخلية في ولاية طرابلس الغرب وبرقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، عن مجلة البحوث التاريخية ، السنة 6، العدد الثاني، يوليه 1984، منشورات جامعة الفاتح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1984.

الأطروحات:

*. جاجوا، حسين، دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي خلال 1850-1881م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر 1981.

*. شويتام، ارزقي ، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 929-1246هـ/ 1519-1830م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2005-2006.

*. أمحمّد سعيد سالم الطويل، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا وغرب أوروبا المتوسطية 1795-1210/1832-1248هـ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، العام الدراسي 2007-2008.

*. أمحمّد سلامة الغزاوي، مخلوف ، ولاية طرابلس الغرب أثناء الحكم العثماني(1864-1911م)، دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والخدماتية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر 2006-2007.

*. مهدية، طيبي، مقاربة للوضع الاقتصادي والاجتماعي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر الجزائر 2009.

*. موساوي-القشاعي، فلة، الريف القسنطيني، اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني(1792-1837)، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1983.

المعاجم والقواميس:

*. الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، حرفي أ-ب، ط2، دار الجيل، مصر 2001.

*. دائرة المعارف الإسلامية، عربها كل من مُحَمَّد ثابت أفندي، احمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، المجلد السادس، حرفي ت- ج.

*. قطش،الهادي ، أطلس الجزائر والعالم طبيعيا- بشريا- اقتصاديا- سياسيا ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

SOURCES

∗. BONTEMS.C. Manuel des institutions Algériennes de la domination turque à l'indépendance, édition Cujas, paris 1976.

∗. Devoulx. A, Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger 1853.

∗. docteur thomas Shaw, Voyage dans la Régence d'Alger au XVIII^{e} siècle, Traduit de l'anglais par E.Mac Carty , Editions grand Alger ljvres, collection vieux textes, Alger 2007.

∗. Henry Dunant , Notice sur la régence de Tunis, société tunisienne de diffusion, Tunis 1975.

∗. Du Tassy Laugier, Histoire du royaume d'Alger, henri du sauzet M.DCC.XXV.

∗. Guérin. V, Voyage archéologique dans la régence de Tunis, T1, henri plon, imprimeur-éditeur, Paris 1862.

∗. Inconnu, Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie, T2, imprimerie N° Dame, paris

∗. Jeronimo Conestaggio, Relation des préparatifs faits pour surprendre Alger, Traduite de l'italien et annotée par H-D.DeGrammont, Adolphe jourdan, libraire-éditeur, Alger1882

∗. VENTURE DE PARADIS. J.M., Tunis et Alger au XVIII^{é} siècle, la Bib. Arabe, Sindbad, paris 1983.

∗. Jean-Michel Venture de paradis, Alger au XVIII^{e} siècle (1788-1790) mémoires, notes et observations d'un diplomate-espion, présentation et notes par Abderrahmane Rebahi, éditions Grand Alger livres

∗. Arsène Berteuil, l'Algérie française, (histoire- mœurs- coutumes- industrie-agriculture), tome1, Dentu libraire-Éditeur, paris 1856.

∗. Aucapitaine (B.H), Confins militaires de la grande Kabylie sous la domination turque province d'Alger, Moquet, Paris.

Référence :

∗. Bernard. Marius, Autoure de la méditerranée, les cotes barbaresques, de Tripoli à Tunis, librairie ren ouard, henri laurens, Edition, Paris

∗. Breteuil, Arsène, l'Algérie française (histoire-mœurs-coutumes-industrie-agriculture), tome 1, Dentu, Libraire-éditeur, Paris 1856

∗. Brosselard CH. "Les inscriptions arabes de Tlemcen", in revue africaine, année 1859

∗. Charles Feraud. L, Annales Tripolitaines, Libraire vuibert, Paris 1927.

∗. Cherif , M.H , Pouvoir et société de la Tunisie de H'sayne ben Ali 1705-1740, T1,Publications de l'université de Tunis, Tunis 1986.

∗. Daumas.M et Fabar. M , La Grande Kabylie études historiques, libraires de l'université royale de France, Paris 1847, p 03.

∗. de Grammont, Henri-Delmas, histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830, Edition bouchene, 2002.

∗. L.Carl Brown. The tunisia of Ahmed bey 1837-1855.Princeton university press. New jersey. USA 1974.

∗. Léon de Disson, La Ttripolitaine et la Tunisie, Ernest Leroux, Éditeur, Paris 1881.

∗. Pellisser.E, Description de la régence de Tunis, 2eme édition, Edition Bouslama, Tunis 1980

∗. Raymond, André, Les Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Sindbad, Paris 1985

ARTICLES :

∗. Arnaud, «Notice sur les sahari, les ouled ben aliya, les ouled nail », inR.A, A10, N°55,Janvier 1866.

∗. Brosselard CH. "Les inscriptions arabes de Tlemcen", in revue africaine, année 1859

∗. Devoulx. A, « Les corporations des métiers a Constantine avant la conquête Française », in R.A, A16, N°93, 1872.

∗. devoulx A. «notice sur les corporations religieuses d'Alger », in revue africaine, année 1870.

∗. EMERIT. M, « Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX^{e} siècle », in Annales économies sociétés, civilisations, N° 1, Année 1966.

∗. Ernest watbled, « Etablissement de la domination turque en Algérie», in R.A, A 17, N° 99, mai 1873.

∗. Ernest watbled, « Paches-pachas deys», in R.A, A 17, N° 99, mai 1873.

∗. Federmann, Henri, « Notices sur l'histoire et l'administration du belik de titri », in R.A, A12, N° 09, Juillet 1865

∗. Féraud. CH, « l'exploitation des forêts de la karasta, dans la kabilie oriental sous la domination turque », in RA, A12, N°71, septembre 1868.

∗. Féraud. Charles, « notes sur un voyage en Tunisie et en Tripolitaine », in R.A, A20, N°119-120, septembre 1876.

∗. Goyne. A, « Le Mzab », in R.A, A23, N°135, Mai 1879.

∗. Marcel Emerit,"Les quartiers commerçants d'Alger a l'époque Turque ", in revue Algeria1952, publiée in revue Algeria, 1952

∗. Monnerau et Watbled. « Négociation entre Charles Quint et Kheir-Ed-din (1538-1540) », revue africaine, N°15,année 1871, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger 1871.

∗. Robin,V, « Les Oulad Ben Zamoum », in R.A, A19, N° 109, Janvier 1875

∗. Robin, « notices sur l'organisation militaire et administrative des turcs », in R.A, A17, N° 99, Mai 1873.

∗.Touati . Houari, « Les Corporations des métiers a Alger a l'époque ottomane ». in RHM,N° 45-46/juin 1987, année 14em, imprimerie U.G.T.T, Tunis 1987.

∗.Valensi. L., Le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion, paris 1969.

∗. Vayssettes. E, « Histoire des derniers beys de Constantine », in R.A, VOL3, année 1858.

الفهرس

مقدمة:..... 1

المحور الأول: العلاقات السياسية للجزائر بالأقطار المغاربية والمشرقية

أولا. العلاقات الجزائر السياسية والعسكرية مع الدولة العثمانية:..... 4

1. الأوضاع البحر الأبيض المتوسط نهاية القرن 15 وبداية القرن 18م:..... 4

1.1. الضفة الشمالية:..... 4

2.1. الضفة الجنوبية:..... 7

2. انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية:..... 9

1.2. العلاقات المتشعبة بين الجزائر والدولة العثمانية:..... 10

2.2. مميزات وخصائص ايالات المغرب العثماني:..... 14

ثانيا. العلاقات السياسية الجزائرية المغاربية (1519-1830م):..... 15

1. العلاقات السياسية الجزائرية مع المغرب:..... 15

1.1. مع الأسرة الوطاسية:..... 15

2.1.1. ظهور دولتهم:..... 15

3.1.1. العلاقات الجزائرية الوطاسية:..... 16

2.1. مع الأسرة السعدية:..... 19

1.2.1. التعريف بالشرفاء السعديين:..... 19

2.2.1. مراحل تكوين دولتهم:..... 19

3.2.1. سمات العلاقات السياسية الجزائرية مع الاسرة السعدية:..... 24

3.1. مع الأسرة العلوية:..... 28

1.3.1. الدولة العلوية:..... 28

2.3.1. التعريف بالشرفاء العلويين:..... 28

3.3.1. مراحل تأسيس دولتهم:..... 29

4.3.1. سمات العلاقات السياسية الجزائرية مع الأسرة العلوية:..... 32

المجلس العلمي

رابعا. العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1519-1830م): 34
1. مساهمة الجزائر في انضمام تونس للدولة العثمانية: (1574م): 34
2.العلاقات السياسية الجزائرية مع باشوات ودايات تونس: 37
3. مع الأسرة المرادية (1613-1702م): 38
1.3. الأسرة المرادية: 38
2.3. طبيعة العلاقات الجزائرية مع الأسرة المرادية: 39
4. مع الأسرة الحسينية (1705-1830م): 42
1.4. الأسرة الحسينية: 42
2.4. طبيعة العلاقات الجزائرية والأسرة الحسينية: 45
خامسا: . العلاقات السياسية الجزائرية الطرابلسية (1519-1830م): 49
1. مساهمة الجزائر في انضمام طرابلس للدولة العثمانية : (1551م): 49
2. العلاقات السياسية الجزائرية مع باشوات طرابلس: 53
3. مع الأسرة القرمانلية (1710-1835): 54
1.3. قيام الاسرة القرمانلية: 54
2.3.طبيعة العلاقات الجزائرية الطرابلسية: 55
سادسا. العلاقات الجزائرية المشرقية: 56
1. العلاقات السياسية مع الدولة العثمانية: 56
2. العلاقات السياسية مع البلاد العربية: 57

المحور الثاني: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغاربية المشرقية

أولا. العلاقات الاقتصادية الجزائرية مع المناطق المغاربية: 58
1. العلاقات التجاريتي لمنطقة المغاربية: 58
1.1. المسالك البرية والطرق البحرية: 58
2.1.المبادلات التجارية: 60
3.1. تشجيع الحكام للتبادل التجاري: 62

المجلس العلمي

2. الأسواق وأهميتها: 63
1.2. الأسواق الأسبوعية: 63
2.2. الأسواق اليومية: 64
3. التجارة الخارجية بين الجزائر والأقطار المغاربية: 67
1.3. مع طرابلس: 67
2.3. مع تونس: 68
ثانيا: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المشرقية: 69
1. العلاقات الاقتصادية مع الدولة العثمانية: 69
2. العلاقات الاقتصادية مع الايالات العربية: 70

المحور الثالث: العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغربية المشرقية:

أولا: العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغاربية: 71
1. الخصائص الاجتماعية للمنطقة المغاربية: 71
2. حركة الأفراد والجماعات: 74
ثانيا. العلاقات الجزائرية المشرقية: 76
1. الروابط الاجتماعية بين الجزائر والدولة العثمانية: 76
2. العلاقات الاجتماعية الجزائرية المشرقية: 77

المجلس العلمي

المحور الرابع: العلاقات الثقافية والدينية الجزائرية المغاربية والمشرقية

أولا. العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية: 79
1. العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية(1519-1830م): 79
2. العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية الطرابلسية: 84
ثانيا. العلاقات الثقافية الجزائرية المشرقية: 89
1. دور الحج في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق:: 89
2. التصانيف العلمية: 90
3. مؤسسة الوقف صورة للتضامن الديني: 91

1.3.مؤسسة الحرمين الشريفين: (مكة والمدينة) : 91

4. الشخصيات العلمية والدينية الجزائرية بالمشرق: 93

خاتمة 98

قائمة المصادر والمراجع: 101

الفهرس 114

المجلس العلمي